

ملك وأمال شعب

زينب الفزالي الجبالي



2269
383
361

2269.383.361
al-Ghazzali al-Jubayli
Malik wa-amal al-sha'b

DATE _____

ISSUED TO

OCT 18 '50

Bindery

NOV 1 2 5A

[illegible]

Princeton University Library



32101 073554626

al-Ghazzālī al-Jubaylī, Zaynab

ملک و آمل شعبه

Malik wa-āmāl sha'b

بقلم

زینب الغزالی الحبی

مطابع

دارالکتاب العربی بصر

محمد علی النیاوی

۱۵ رجب ۱۳۷۳
۲۰ مارس ۱۹۵۴

الأهـداء

إلى المؤمن بالله وبالحق وبالعدل . . .
إلى من بعث في البلاد المقدسة مجدها الشامخ وحضارتها العريقة . . .
إلى عاهل الجزيرة العربية الملك سعود الأول . . .
إلى البيت المالك السعودي . . .
إلى شعب الجزيرة . . . وأهل الأرض المقدسة . . .
إلى شعوب الإسلام المؤمنة بوجوب قيام دولة الإسلام الحاكمة
بكتاب الله في مشارق الأرض ومغاربها . . .
إلى هؤلاء جميعاً . . . أهدى هذا الكتاب . . .

نزيب الفزالي الجبيلي



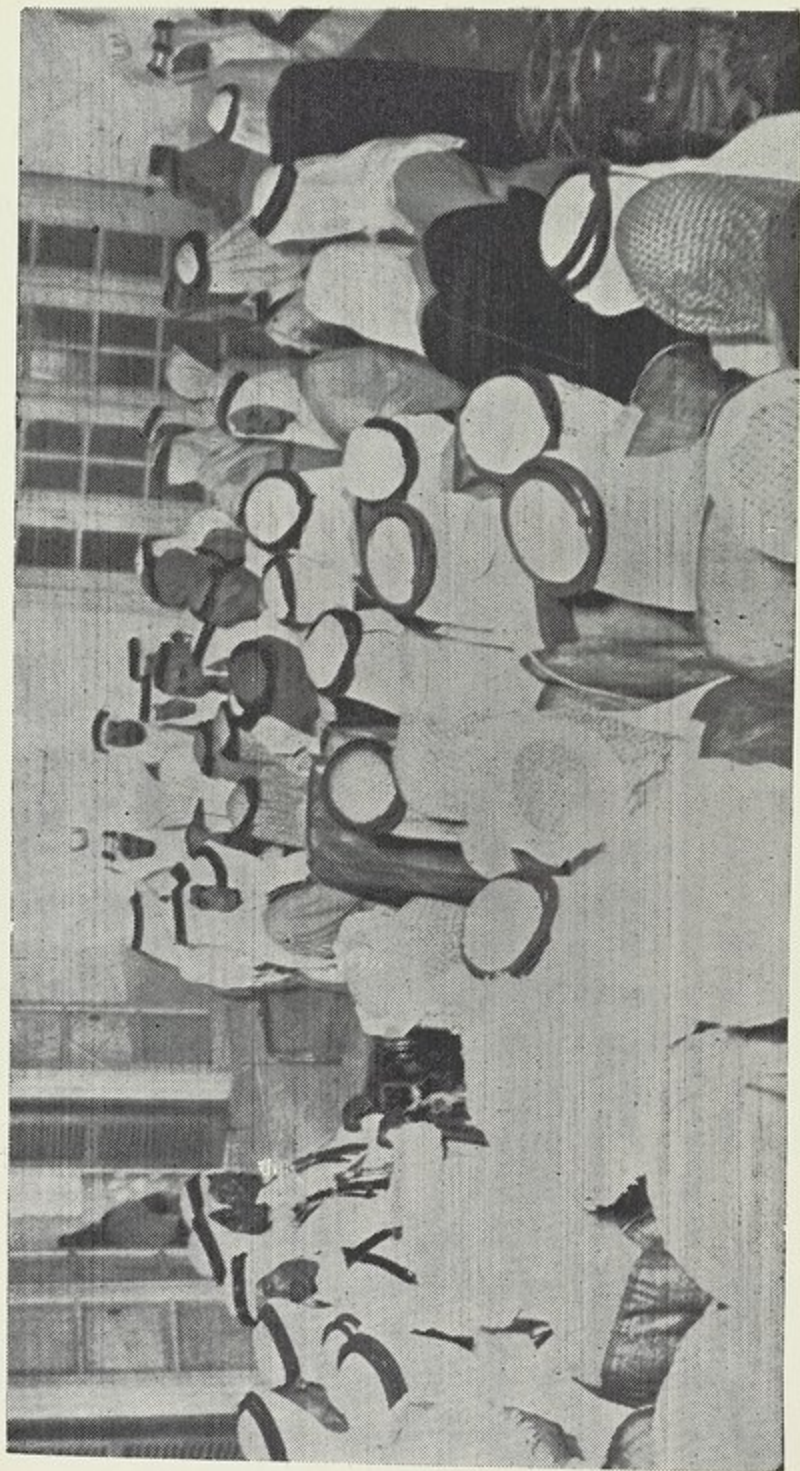
حضرة صاحب الجلالة الملك سعود الأول



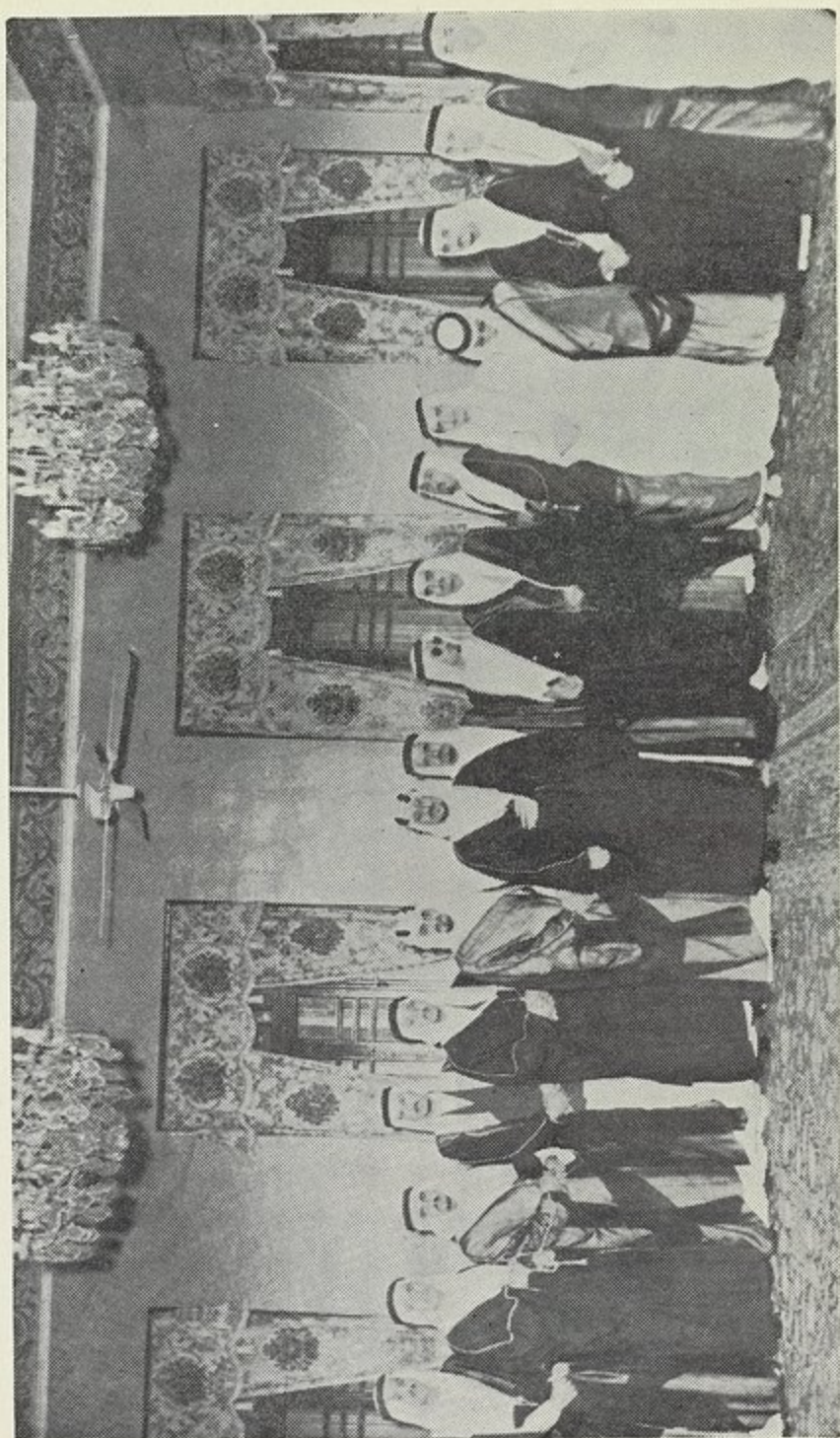
سمو الأمير فيصل ولي عهد المملكة العربية السعودية



صورة تذكارية للمغفور له الملك الراحل ، والملك سعود الأول



أفواج الشعب تباع الملك سعود الأول



الملك سعود الأول يتوسط أخوته حضرات أصحاب السمو الملكي الأمراء بعد اعتلائه العرش



السيدة زينب الفزالي الجبيلي رئيسة جامعة السيدات المستدمات

شكر وتقدير

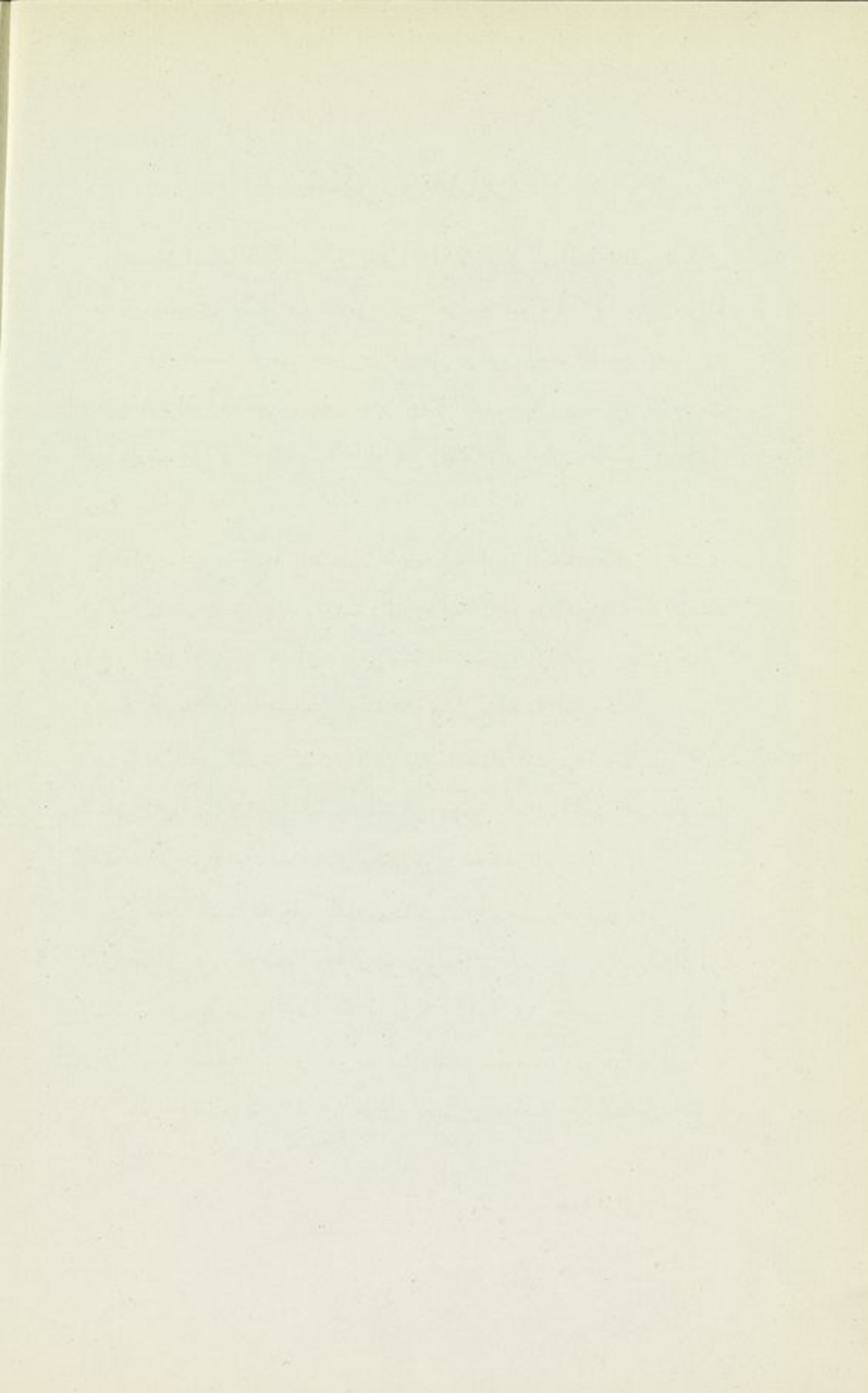
بعد أن أصبح الكتاب بين يدي القراء لا يفوتني أن أقدم خالص شكرى وصادق تقديرى لكل من عاوننى على إخراجه سواء أكانوا من إخواننا فى الأرض المقدسة أو من المصريين ، وعلى رأسهم السيد الشيخ محمد سرور والسيد عبد الله أبو الخير سكرتير خاص جلالة الملك سعود . ولقد كان للأحداث التى دارت بينى وبين السيد عبد الله عن الملك الأثر الطيب العميق فى نفسى لو توفقت صلته بالملك .

ولن أنسى الجهد المشكور الذى بذله ابنى الأستاذ طاهر زخشرى فيما قدم لى من خالص الجهد والوقت والمراجع ، مما أعده عوناً صادقاً له ، وللأستاذ الأخ رشدى الملا فضل تمكنت به من مشاهدة مشاريع الإصلاح فى مكة وجدة ، وكذلك للسيد القزاز الذى يسر لى مشاهدة مشاريع المدينة المنورة .

كما لا أنسى الجهد المشكور الذى بذله الأستاذ محمد عرفة والأستاذ محمود صبحى زغلول ، وكذلك أخص بالشكر زوجى العزيز الحاج محمد سالم سالم الذى منحنى من وقته وتشجيعه ما مكفنى من وضع هذا الكتاب .

كما أشكر السيد محمد حامى المنيأوى صاحب دار الكتاب العربى للطباعة والنشر الذى جند لى من وقته وعمله ما أعان على طبع الكتاب فى فترة قصيرة أظهرت الكتاب فى مواعده المحدد ١٥ رجب ١٣٧٣ (٢٠ مارس سنة ١٩٥٤) وهو اليوم السعيد الذى شرف فيه الملك سعود الأول أرض الكنانة زائراً كريماً وضيئاً كبيراً له فى نفوس المصريين ، فضلاً عن المسلمين جميعاً ، كل تجلة وحب وإعزاز

زينب الفزالى الجبلى



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

سيدي القاريء العزيز :

أرجوك عند ما تمسك بهذا الكتاب لتتصفححه ؛ ألا تعتقد أنه مجرد كتاب يقدمه كاتب لينال حظوة عند حاكم عظيم أو ملك جليل .
لا والله ..

فالعوامل التي أملت على تأسيس المركز العام لجماعة (السيدات المسلمات) في تلك الأيام الأولى من ربيع الأول سنة ١٣٥٦ من الهجرة ، هي نفس العوامل التي أملت على تأليف هذا الكتاب - وهي عوامل بعث الفكرة الإسلامية ، وقيام دعائم الدولة الإسلامية الحاكمة في الأرض ... والبحث والتنقيب عن مثلها العليا .

نعم يا قارئ العزيز :

إن معارضاتي ومناقشاتي ونقدي لعلماء الأزهر سنة ١٣٥٦ من الهجرة في دار كلية الشريعة (بشارع البرموني بعابدين) ، هي التي صنعت مني مؤسسة لدعوة (السيدات المسلمات) ، وأقامت مني داعية للإسلام ، ومكافحة في سبيل قيام دولته الحاكمة ، وكذلك - يا عزيزي القاريء - معارضاتي وانتقاداتي للحكومة السعودية . وجدلي ونقاشي مع رجال أجلاء ، وشباب نبيل من الشعب

المسلم العربي السعودي العريق في إسلامه وعُروبه — هي التي جعلتني أطلب مقابلة الملك سعود .

وفي سنة ١٣٧١ هـ حين كان جلالته ولي عهد البلاد المقدسة — قابله وناقشته — وكان جلالته في مناقشتي حكيماً، يناقشني في رضا عن نقدي إن نقدت ، وفي دفاع نبيل كريم إن تغاليت في النقد والمؤاخذة .

وخرجت من مقابلة الملك سعود وأنا مؤمنة بمحدث تنظيره بلاد الله الحرام وجزيرة المجد والغزو والفتوحات والنصر في سبيل الله .

وأخذت أبحث وأقابل رجالاً من السعوديين من أصحاب الرأي والحكمة ، وأخذت أطيل الحديث والبحث مع الملك الذي ناقشته كما ناقشت أفراد شعبه فكان أوسع صدرأ ، وأشدّ بحثاً وتنقيأً عن الحقيقة ، وبعد اتصالات عديدة تضاعف إعجابي واشتد ولائى للملك المرتقب حينذاك ، وتضخمت آمالي وقويت عقيدتي في قيام دولة الإسلام موحدة الصف والكلمة ، وبتفسير حلم المسلمين وتحققه بقيام الجامعة الإسلامية والحكومة الإسلامية العالمية الموحدة الرأي والصف . ولا شك في أن هذا الحلم سيتحقق مادام في رجال المسلمين مثل سعود بن عبد العزيز .

وصممت على إخراج كتابي بعنوان : (ولي عهد وآمال شعب) وكان ذلك في شهر الحرم سنة ١٣٧٢ وكنت حينذاك بمكة المكرمة ، وعدت إلى مصر وشغلتنى أثقال الدعوة ومطالب المركز العام وفروعه عن تحقيق أمنيّتي . حتى جاء الموسم وقدر لي أن أؤدى فريضة الحج .

قتشرفت بمقابلة جلالته للمرة الثانية في شهر ذى الحجة سنة ١٣٧٢ هـ ،
وقدمت له عدداً خاصاً من مجلة (السيدات المسلمات) تناول شئون الحج ،
وذكرت بين يدي جلالته أنني أرجو أن أخرج كتاباً عن جلالته بعنوان (ولي
عهد وآمال شعب) .

وكم كانت دهشتي عندما سألتني جلالته بفطنة الحكيم المجرب : « وماذا
ستكتبين في الكتاب » ؟ .

وقبل أن أجيب قال جلالته حفظه الله : « إن كثرة المديح قد أخرجتنا معاشر
المسلمين عن ركب الأمم » .

فقلت — : « نعم يا مولاي — ولكنني آمل أن أقدم هذا الكتاب
هدية للشعب والملك في آن ، وإني لا أريد بإخراجه إلا تسجيلاً لتاريخ حافل ،
وتصويراً للمستقبل بلاد كريمة عزيزة .

وأذكر يا مولاي أنني في مقابلي الأولى لجلالتكم قلت وأنا مائلة بين يديكم :
« أرجو الله أن يجعل تلك الصلة لله وأن تكون إن شاء الله للتعاون والتفاني
والكفاح المتواصل في سبيل قيام دولة الإسلام الحاكمة بما أنزل الله تعالى في جميع
بقاع أرض الإسلام » .

وكذلك يا مولاي أريد إخراج كتاب « ولي عهد وآمال شعب » وما هو إلا نفثة
مشتاق إلى عودة أمجاد دينه ودولته وأهيب فيه بأعرق وأكرم شعب على الله
في أرضه بأن يتيقظ من غفلته التي طالت فأضاعته بين الأمم — وأنادي فيه
أعرق مليك عربي لأذكره بما له على شعبه وما عليه لشعبه فتكون الشورى

السليمة ، والرأى الحكيم الذى رضى به القرآن وسار على هديه محمد عليه الصلاة والسلام .

فلقد جاء يا مولاي أبوك العظيم بعد تلك القرون الطويلة التى مرت على المسلمين ، وكأن الإسلام فيها لم يأت إلا بطقوس وصور ورسوم ، فحمد لم يشرع ولم يقن عن ربه إلا لتكون حكومة القرآن ويكون الحاكم بالقرآن هم ورثة الأرض وهم أصحاب الأمر فيها .

نعم يا مولاي جاء والدك ونادى ؛ وحارب ؛ وأقام الحكم بالشرع وبما أنزل الله ، وآملنا أن تكون وأنت أمل أبيك وأمل المسلمين فى بقاع الأرض حامل العلم والمنادى إلى قيام الجامعة الموحدة والحكومة الإسلامية العادلة الباعثة لأنوار الحكم المحمدى ومجدد أجداد الحكم العمرى ، ولن يكون ذلك يا مولاي إلا بإيجاد حاكم يتمثل بعمر الفاروق أمير المؤمنين حين قال على المنبر : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فى أعوجاجاً فليقومه » — وسيكون كتابى يا مولاي أمواجاً متزاحة من آمال المسلمين فىك بصفة عامة وآمال شعبك بصفة خاصة مصورة كم أدت لهم من واجبات وكم قصرت فى حقهم ثم نسألهم حقك عليهم كما سألناك حقهم عليك » .

فرد الملك بقوله : « إذن قبلت منك الهدية واعلمى يا أختاه أن المدح المتغالى فيه يعي الرجال . أما النقد البرىء الخالص والرأى الصريح الحر وشجاعة الكاتب وجراته كل هذه تربط بين روحه وروح القارىء .

وألقيت على الملك نظرة طويلة وقد أعجزني بيانه ثم قلت :
بهدي إرشادك يا مولاي وبحكمة رأيك ، سأقدم هذا الكتاب غير محابية فيه
الملك وغير هاضمة فيه حق الشعب ، فقال : « حسنا » يا أختاه .

عزيزى القارىء :

لقد شاء القدر ألا أقدم لك هذا الكتاب عن (ولى عهد وآمال شعب)
ولكن . . . أراد الله أن أقدمه عن (ملك وآمال شعب) .

وأخيراً تمت إرادة الله كذلك فشأت على أن أتعجل ظهور الكتاب ،
فمعدرة إلى القراء إن لم أكن قد وفيت ما للملك سعود ولشعبه المجيد من آثار
وأفضال ، وما كان يخلج في نفسى من آمال واسعة عراض كنت أنوى أن
أبسطها مفصلة ولكنها جاءت موجزة مركزة بسبب هذه العجلة .

وما حيلتى . . . وقد حملت الأنباء السعيدة مقدم جلالة الملك سعود أرض
مصر ، فصممت بدورى أن يكون الكتاب بين يدى القراء عند تشريفه
أرض الكنانة .

وإنى لأرجو أن يكون هذا الكتاب فعلاً هدية للملك والشعب .

نزيب الغزالى الجبيلى

اللقاء الأول

في مساء يوم من أيام ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ أخذنا نشق الطريق من مكة المكرمة إلى جدة حتى وصلنا بعد ساعة إلى منزل صديقنا رشدى الملا ، واسترحنا قليلاً ثم استأنفنا المسير إلى القصر الملكي العامر بجدة .

وكانت في صحبتى عضو الجماعة (السيدة ضحى عاصم) ومقرئة بعثة الجماعة للحج ، وابنتا طاهر الزمخشري وشقيق على الغزالى ، وتركنا طاهراً وعلياً خارج القصر ، ودلفنا إلى القصر حيث أرشدنا رجاله إلى جناح الحریم .

وهناك استقبلتنا صاحبات السمو الملكي بما اعتدن أن يستقبلن به الزائرات من بشر وترحاب ، وفي صالة الاستقبال التقينا بـزوجة ولى العهد آنذاك وفي حضرة هذه العائلة الكريمة عشنا فى عالم كله جلال وجمال واحتشام ، وكأننا عدنا إلى ذلك النور الذى كان ينعم العالم فى عهود حكام المسلمين الأول المحافظين على تقاليدنا العريقة وتربيتنا الدينية .

وطافت بخاطرى زبيدة زوج الرشيد وغيرها من صاحبات التاريخ الناصع بجلال الدين الإسلامى الحنيف ، وحسن التزام المرأة المسلمة بمحدود كماله . . نعم كنت أشعر أنى فى بيت عظيم ، ولكننى مع ذلك لا أشك أنى فى بيت حاكم من حكام المسلمين ، وبين أفراد أسرة حاكم مسلم . . فلابس الأميرات وحديثهن كل ذلك كان من نبع التربية الدينية السليمة . ولقد سألتنى صاحبة العظمة زوجة الملك سعود عن رسالة السيدات المسلمات فى مصر ومدى نشاطهن

وتأثيرهن في نساء الإسلام ؟ فما كدنا نبداً الحديث حتى قطع فجأة ، إذ أعلنت إحدى وصيفات القصر قدوم سعود المعظم .

ووقفت الزوجة الكريمة يتقدمها الأميرات . وقفن جميعاً صفّاً لاستقبال القادم الكريم ، ودخل جلالته يتبعه شابان فارعان ، في نظراتهما عزيمة وقوة إرادة ، وفي ابتساماتهما المرحبة طلاقة عربية صادقة ، فصاحت جلالته وقدمت له عضو الجماعة فرحب بنا أكرم ترحيب ، ثم نظر إلى الشابين النابهين وقال : بصوت وقور (هذا ولدى فهد وذاك ولدى خالد وهؤلاء بناتى وتلك زوجتى) فأجبتته (إن تعرفى بالأسرة الكريمة شرف يتزاحم عليه الأشراف) .

وجلس جلالته وجلسنا إليه ، وبدأ يسألنى عن رسالة (السيدات المسلمات) فأوجزت التعريف بها ، ثم أخذ يسألنى عن حالة الأمة المصرية ؛ وتدرج الحديث حتى تطرق إلى شؤون البلاد الإسلامية بأسرها . وأتاح لى — عن طيب خاطر — الفرصة لأتقد كل ما أريد نقده فى المملكة العربية السعودية ، فتكلمت بحرية عن كل شئ يمز علينا نقده وأن يشاع عن البلاد المقدسة ، كما تحدثت عما يجب أن يكون عليه حكام الحرمين وأمرأؤهما من مراقبة الله سبحانه مراقبة تتفق وما أسبغ عليهم من شرف وعزة ومجد بأن قلدهم حكم الحرمين وحراستهما ، ثم أتاح لى الفرصة أيضاً لأنكلم عن أمانى المسلمين فى سياسة حكام الحرمين وما يجب عليهم نحو المسلمين ، فهاجمت كثيراً من النظم فى البلاد السعودية وبعض نقاط الضعف التى لا حظتها فى الجهاز الحكومى ؛ وبطء بعض المشاريع العامة التى لها علاقة بالحج والحجاج ، فلم يفضب جلالته ومدحت ما يستحق المدح فلم يطرب ولم يغتبط بقدر ما طرب واغتبط من النقد .

ألا تباً لسماسة الصحافة وزعمهم أن آل سعود يغضبهم النقد ويشيرهم ،
فالحق أن جلالتهم قدم لي الدليل ، والدليل الصادق على أن النقد لا يغضب أبناء
ليث العروبة ، وأن سعود بن عبد العزيز لا تغضبه كلمة الحق ما دامت تزيهه
لا يروم بها صاحبها غاية رخيصة .

فوالله لقد آمنت بأن جلالتهم يؤمن حقاً ويفهم معنى (الحديث الشريف)
الوارد عن تميم الداري رضى الله عنه وما يرمى إليه فقد قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) — قلنا : لمن يا رسول الله : ؟ قال : (لله
ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

نعم ماذا أقول ؟ وقد نقدت دقائق . . ليس لي أن أخوض فيها ، ولكني
عند ما قلت له يا مولاي : (إني أغار على المسلمين وعلى بيتكم الكريم وعلى
أهل الحرمين ، ولا شك أن الله ما ولاكم هذا الملك وجعلكم حراس بيته
وساسة حرم نبهه — إلا لكرامة لكم عنده . فهل يأذن لي مولاي أن أتكلم
عما يؤلنا نحن المسلمين ، وعما يجب ألا يقع وما ينبغي أن يكون ولو بذلنا في سبيل
ذلك أرواحنا ؟ فأجاب : (بل تكلمى ولك الحرية إننا بشر نخطئ ويصيب .
والله سبحانه وتعالى عاصم عباده ؛ ونحن لا نملك إلا أن نلجأ إليه دائماً ، ندعوه
أن يتوب علينا ويهدينا صراطاً مستقيماً) ، — وماذا أقول ؟ . . فقد أطلت
الحديث وغمرتني مكارمه ، فنسيت كليةً أنني في حضرة من سيكون ملك أقدس
أرض يفتديها المسلمون ، فقد غدا المجلس مجلس نقد وبحث وعلم وعلاج لإيجاد
الحلول . لا يقتصر على ما نراه في البلاد العربية السعودية فحسب ، بل يشمل
جميع ما نحس به من مآسٍ في جميع أقطار الأمم الإسلامية في العالم أجمع ،
وانتقلنا من نقد دولة عزيزة وملك يفتديه المسلمون إلى حديث عن الأمة

الكبرى؛ أمة الإسلام التي قسمها أعداء الإسلام، وجعلوها ممالك ودولاً، وإماراتٍ مجزأةٍ ضعيفة عزلاء لا حول لها ولا قوة؛ بعد أن كانت وحدة قوية متماسكة، رشيدة القيادة صفاءً واحداً غير منقسم ولا مشطور.

وتساءلنا: — أين الطريق لإعادة المجد المندثر! ؟ . فقال رعاه الله :
« ليتها تكون »؟! ...

ولقد شعرت أنني أجلس لا إلى رجل خطير الشأن، بل إلى شاب من الشباب الثائر الغاضب لما وصلت إليه حال العرب الذين بوأهم التاريخ مكان الصدارة أو إلى شيخ من الشيوخ الذين أوقفوا حياتهم لا لاسترجاع مجد الآباء فحسب بل لبناء مجد جديد لا يقل عن مجد الآباء روعة وعظمة، والحق أن أخص ما يتميز به سعود هو: الجمع بين عزمة شبابه الوثاب وحكمة الشيوخ المجربين الذين مارسوا الحياة على اختلاف وجوهها، ولعل ما أضفاه شبابه وحكمته على الحديث من لذة وعذوبة أنسياني وصحبي أن الوقت قد امتد بنا فقلت: يا مولاي لقد أخذت من وقتك الثمين أكثر مما يجب فوقتك ليس ملكاً لك ولكنه ملك لشعبك الذي تسهر عليه فهل يأذن لي مولاي بالانصراف، قال جلالتة إن الوقت الذي أقضيه في حديث عما يسعد شعبي ويرفع من شأن بلادى لهو من أحب الأوقات إلى نفسي ..

ثم ختم هذا اللقاء بكلمات لن أنساها حين قال:

(والله لقد تركت قلبي يغلى بتلك الأمانى .. فإذا نفعل ..! إننى أومن بأننا يجب أن نعمل، وإن شاء الله سنعمل . وأعتقد أن ساعة عمل المسلمين قد اقتربت) .
وغادر جلالتة القاعة بعد أن صاحنى فتركنا القصر وقد امتلأت نفوسنا أملاً بمستقبل باسم لهذه البقعة المباركة وكيف لا وسعود رجلها وهو الذى ترغبه النفس ولا ترهبه، وتطيعه لا عن خشية بل عن حب وإعزاز، وتلتف حوله القلوب .

شخصية سعود

الملك سعود رجل طويل القامة . قحى اللون ، جهورى الصوت ، فى نظراته وفى قسماى وجهه وقار وجلال ، يقابلك بابتسامته الوداعة ، ويمد إليك نظراته الهادئة ، فتنقاد إلية قبل أن يتكلم ، فإذا أخذ يحدثك أو يجيبك أصغيت إلية فى مهابة وإيمان بما يقول لأنه حكيم الرأى . بليغ العبارة ، لا ترهبه فتخافه ولكن تحبه فتطيعه ، ويستمع إليك بعطف وتقدير وإن خالفت رأيه ، فيقوى فيك الإيمان به والتفانى فى خدمته فتنصب من نفسك جندياً متطوعاً لخدمته وخدمة كل من يتصل به .

ويبدو مهماً بلقائك مهما كان مركزك بل ويشعرك أنك أخوه إن كنت تقارب سنه . وبأنك ابنه إن كنت فى مثل سن أبنائه . وبأنك أبوه إذا كنت أكبر منه سنّاً .

وهكذا يلقاك إذا كنت شخصاً عادياً أما إذا كان المائل بين يديه زعيماً أو ملكاً أو أميراً أو حاكماً فيجد فيه الشخصية القوية الجبارة المتواضعة فى عزة ومنعة وفى غير استعمال ، فهو الهادئ المهاب فى أخوة حلوة أو أبوة رحيمة أو زمالة كريمة .

ولا تكاد تمر بعض الدقائق إلا وتجدده شخصية فذة تتجسم فيها قدرته وعروبه ومكارمه وتواضعه وحكمته وعزمه ورأيه الصائب ، فلست بواجد

شخصية تستطيع أن تغطي على شخصية سعود العظيمة ، بل تجده عظيماً في غير
كلغة بطبيعة فطرته التي نشأ عليها ونما في أحضانها .

وتلك الميزة العظيمة هي من خصائص سعود الموروثة عن أبيه العظيم
وأجداده الأجداد .

فقد كان عبد العزيز العظيم يلتقي بملوك العالم وحكامه فلا يستطيع الواحد
منهم أن يكون في حضرته أكثر من مؤمن به ومتبع رأيه ومرتبس لخطوط مجده
وسعود الملك هو الوارث بجدارة كل أجداد أبيه العظيم .

وعلى الجملة فشخصية سعود شخصية إسلامية بكل ما جمعت هذه الكلمة من
معاني الإنسانية والرحمة أو القدرة والبطش والعظمة .

ومن أبرز خصائصه : حبه للعلماء وتوقيره لهم والرجوع إليهم في كل دقائق
حكمه والنزول عند رأيهم ، فهو يزورهم ويحاملهم في المناسبات العامة والخاصة
ولا يخلو أبداً مجلس من مجالسه من أفاضلهم وفقهائهم وهم دائماً رءوس استشاراته
وأصول ثقته ومرجع حكمه ، والحال كما إذا كان هذا مركز العلماء من نفسه فهو
بخير وأتمه بخير فالعلماء ورثة الأنبياء ولن تضل أمة — حكماً ومحكومين —
تهتدى بهدى علمائها .

وأبرز ما في شخصية سعود إيمانه بدينه عن دراسة وتحقيق وبحث ، فهو
مسلم عامل بالإسلام لا ليرضى رعيته ويجمع حوله شعبه ولكن لأنه يعرف
الإسلام حق المعرفة ، فالإسلام يجري منه وجوداً في نبضات قلبه ويتألق نوراً
في خلجات نفسه ، ويشع إشراقاً في تقاسيم وجهه ، لذلك فهو يقيم أركان الإسلام
بروحه وجوارحه مؤمناً به معتقداً في عدالته ولا يرى الإسلام أبداً إلا حكماً
وسياسة وعبادة ، ولا يعتقد أن الإسلام يكون على حقيقته في نفوس المسلمين

وأحكامه معطلة بل هو على أتم استعداد لبذل روحه وماله وجاهه وكل ما يملك في سبيل إسعاد رعيته ما دامت مسلمة منفذة لأحكام الإسلام .

وهو في نفس الوقت لا يتأخر أبداً عن قتال وتأديب أى خارج على الدين أو مفرط في حد من حدوده .

وكما تجده ملكاً عظيماً تجده مسلماً عاملاً ، وهو أب عطوف وزوج رحيم وأخ كريم .

ورأيت جلالته وهو يجلس بين زوجه وأبنائه وأفراد أسرته . كأنه الرحمة المناسبة من جداولها والمودة الخالصة من منابع الحب والصدقة الصافية والأخوة الكريمة ورأيت به يعامل جواريه وعبيده معاملة فيها أخوة وعطف ورحمة وكأنه يعمل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « خدمكم إخوانكم » . . .

ولذلك : فهو مطاع عن حب أكثر من مطاع عن رهبة ، والرعية عندما تستمد ولاءها لراعيتها من تجاوب المحبة المتبادلة بينها وبينه يستقر فيها الحكم ويستتب الأمن الذي يمكن الحاكم من التفرغ لمصالح الرعية ويصرف الرعية إلى العمل والاطمئنان والإنتاج المستمر وعلى الجلمة فشخصية سعود شخصية فذة أقامتها عروبة أصيلة خالصة فأمه من أصول نجد وأبوه من سويداء أصول سراتها فهو سليل العروبة وفرعها الزكي

ولقد برزت شخصية سعود الحربية منذ نشأته الأولى — فهو مقاتل مبرز ، وقائد محنك ، وعبقري في رسم خطة الغزو ، وداهية في فهم أعدائه ودراسة أطماعهم والوصول إلى سر سياسة غزوهم — كما أنه داهية سياسية في الوصول إلى ما يثنى به أعداءه عن عزمهم في القتال والتسليم له والالتقياد لإمرته .

والذي يدرس غزواته وحروب والده التي قاد سمود جيوشها وعاد

منها جميعاً منتصراً مظفراً يعلم ذلك عن دراسة ويعلم كيف يدين له بالولاء للمكارم والشجاعة والبطولة والفروسية والحمد المتألقة في شخصية سعود الحربية القوية الجذابة .

ومما خلفته تلك الشخصية العسكرية الخطيرة في طبيعة سعود ، هوايته لركوب الخيل والصيد وليس لسعود هواية في أى نوع من أنواع اللهو التي يبغيضها الشرع أو حتى يضعها الشرع موضع المكروه ، ولكنها هوايات الكريم الذى تأبى عروبه إلا أن يكون كريماً حتى في لهوه ، قال عليه السلام ما معناه : (إن الرجل يداعب فرسه — فله على ذلك أجر) والصيد هواية عريقة عند العرب وعلى ذلك فسعود لم يسمح أبداً أن تحمل شخصيته في أية فترة من فترات حياته أو رياضته وزهاته طابع اللهو وهكذا تكون الشخصيات الكريمة الناجحة المؤمنة بشرفها ، لا تنزل به أبداً عن قمة مجده ، فالجد والحزم والعزم ، من مقومات الشخصية الكريمة المتفرعة من أصل عريق في الكرم .

ولهذا فهو يتمتع بشخصية عربية حامية واضحة المعالم ، والكرم طبع أصيل في العرب ولو اشتدت بهم الفاقة ، فالكسرة في أيديهم ليست لهم بغير أن يسألوها ، فإن كانت تلك شيم فقرائهم فما بالك براء وسهم وزعماء عشائهم ؟ . وما بالك بسعود الكريم ابن الكريم ، فديار آل سعود وقصور آل سعود لا يستأذن الداخل إليها . . فالموائد دائماً منصوبة والقدر دائماً مكشوفة ، ومن شاء فليأكل بغير دعوة ومن شاء فليحمل بغير إذن — وهؤلاء رواد قصور الملك أو قصاد فضله — تبذل لهم العطايا بغير سؤال ، عطايا تغنيهم وتكفيهم ذل السؤال ولا يستطيع إنسان ما أن يقول إنه قصد سموداً في أمر ورجع دون أن يظفر بقصده

قاله حسرت

من سنة الله في خلقه أن كل عظيم . ولد وقد سبقت ميلاده بشارت تدل على عظمته أو صحبت ميلاده تنبؤات بأن هذا المولود له رسالة في الحياة ، بل تعدى الأمر إلى أن تكون تلك البشار محدّدة لنوع الزعامة التي تنتظر ذلك المولود .

وقد كانت الظروف التي سبقت ميلاد سعود مبشرة بأن سعوداً سيكون له شأن خطير ، فقد حملت زوج البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفصيل آل سعود . بالبطل (سعود) . وجده عبد الرحمن في شدة وضيق . لا يقدر على حمل أعبائهما غير أصحاب القلوب الكبيرة الذين يعيشون ليؤثروا بوجودهم في الأيام ويأبى كبرياء الرجولة فيهم أن تغلبهم أو تؤثر فيهم الكوارث والأيام .

كان عبد الرحمن الفصيل آل سعود سلطان نجد وملحقاتها ، نزيل الكويت ، بطلاً مغلوباً على أمره وأقصى ما في حياة الرجل أن يغلب على أمره بعد عزة ومنعة وحكم وسلطان .

وكان عبد العزيز ينو إلى تقاسيم وجه أبيه ، فيرى عبرة الذكري بعز الماضي حديثاً بليغاً في نظراته وفي كل تقاسيم الوجه الوقور الذي اعتاد أن يطل على الناس في صولجان الحاكم ، فأصبح نزيل بلاد غير بلاده .

وأفذاذ الرجال إذا تعثرت بهم الأقدار وهزمتهم أحقاد الأعداء وحروب المناوئين لا تستطيع الهزيمة أن تفت من عزيمتهم أو تحول دون وصولهم إلى مراقي



جلالة الملك سعود الأول في شبابه الباكر

المجد ، فهم يستمدون من الهزيمة درساً يدركون به أسباب النصر — ووسائل الكفاح من جديد ليتمموا في الحياة رسالاتهم الخطيرة .

وبدأ عبد العزيز يفكر في خطة غزوه لآل الرشيد في عاصمة حكم آبائه وأجداده (الرياض) وأمامه الزوجة التي تحمل في أحشائها إنساناً طالما فكر فيه عبد العزيز . وكم قال من أجله مناجياً نفسه : (ماذا حملت زوجي ؟ .. الله يعلم أنني يأتري أم ذكراً وإن كان ذكراً . هل سيفتح عينيه على تاريخ جديد وفتح جديد لآل سعود ؟ .. أم سيأتي هذا المولود إلى العالم ، وآل سعود صرعى الهزيمة ؟ ولا يكاد عبد العزيز يتخلص من هذا الخاطر حتى يسبح في تلك التخيلات التي تجند فيه روح الغزو والعمل لاسترداد ملك آبائه عند ما يطالع تلك التجهيزات المتموجة في وجه أبيه الذي نزل بالكويت ضعفاً مغلوباً على أمره ، وكان عبد العزيز في مستهل صباه ولا زالت تلك التجهيزات تجري بقسوة الأسى في وجه عبد الرحمن غير أنها كانت تزداد قوة وشدة عند ما يشاهد ولده عبد العزيز ولكنها سرعان ما كانت تبددها ابتسامة هادئة تصحبها قشعريرة حلوة يضم بعدها البطل عبد الرحمن رجله عبد العزيز إلى صدره ثم يبسط ذراعيه ليتركه بعدها وقد مد إليه نظرة طويلة قوية مستفسرة .

هل تفكر يا عبد العزيز في استرداد ما سلب من آبائك وأجدادك ؟ فيجيب عبد العزيز أباه : « نعم وقبل أن تضع زوجي حملها ، — فأذن لي بالرحيل ، وإن شاء الله تعالى لن أعود إليك بل سأرسل إليك لتعود إلى الرياض ولتكون الأمر فيها ! .. ولي دعواتك ورضاك يا أبت العزيز ، — أستودعك الله وزوجي وما في أحشائها .. » .

وخرج عبد العزيز ومعه من رفاقه ثلاثون رجلاً ، ليس في جمعيتهم أغلى من الإيمان ، فهم رهبان ليل ، وفرسان نهار ، عبد العزيز مرشدهم وقائدهم . .
واجتازوا الفيافي ، وخاضوا غمار الصحارى ، وغزوا وغلبوا وانتصروا
وهم في طريقهم لنجد ، للرياض عاصمة الملك التى وعد عبد العزيز أباه
بأن ييؤأه فيها بإذن الله ، مقعد عز ومجد ونفار .

وفي ليلة الثالث من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ . وقف — عبد الرحمن الفيصل ،
يرقب خبر ميلاد مولود جديد ، وسرعان ما أقبل البشير يهتف بلهجة
بدوية حلوة :

مولاي : (وضعت سيدتى غلاماً) ...

فأسرع عبد الرحمن على غير عادته وحمل المولود وقال : (فأل حسن)
مولود ولد ...؟ سموه (سعوداً ..) — لعل معه يأتى السعود والصعود . .
(إلى نجد إلى الرياض) — ويعود السعود — ملك آل سعود .

قال الشيخ ذلك وهو يضم الوليد إلى ذراعى أمه ويخفف تلك العبرات
التي انحدرت من عينيه ثم انصرف وهو يناجى ربه : « رب أين — الساعة —
عبد العزيز من وليده ، هل سأحمل الوليد إليه كما وعدنى ؟ بحولك يارب حقى
آماله . . يارب أعز (. . . سعود) .

وقضى عبد الرحمن أكثر من ليلة ، يتهلل ويدعو : للوليد وللابن المغترب
فى سبيل المجد ، وكانت ليلة الثالث من شوال سنة ١٣١٩ هـ الهجرة .

ودخل عبد العزيز الرياض ، وتبوأ مقعد الحكم فيها في ليلة الرابع من شوال سنة ١٣١٩ هـ — وجاءت وفود ، تحمل البشرى بميلاد سعود وامتزجت بهاني النصر بتهاني الميلاد ، وقال عبد العزيز للبشرين بالميلاد : سموا ابني (سعوداً) فهتف البشير : مولاي : سماه أبوك سعوداً ، ونادى عبد العزيز وهو جالس على عرش آبائه : « آتوني بأبي » .

وقام الركب الكريم من الكويت وعلى رأسه عبد الرحمن الفيصل آل سعود وفي رعايته الكريمة أم عظيمة تحمل المولود العظيم ، فال النصر وعنوان المجد ووصل الركب العزيز المهاب .

وأقبل عبد العزيز يلثم يدي أبيه ، ثم بوأه المقعد الذي وعده ، مقعد الفوز بعد الغلبة ، والنصر بعد الهزيمة . . والمجد القائم والمجد المرتقب ، ثم حل الطفل (سعوداً) وقبله بين عينيه ، ثم قال والبشر يملأ وجهه وسعود على صدره : مرحى مرحى . سعود النصر والغزو والفتح المرتقب ، ميلاد ملكي ونبوءة مجدى . . .

وتزاحمت الأفراح مزدهرة ، في بشاشة قوية ، غمرت وجه عبد الرحمن لفرحة ولده البطل بولیده ، وقال : أليس سعود صورة منك يا عبد العزيز ، في الخلق ؟ . .

فقال عبد العزيز : (نعم يا أبي وإن شاء الله يكون كذلك في عبوديته لربه — فخير ما يدخر العبد صدق العبودية ، أرجو الله أن يكون مثلاً في رجولته وفي غزواته وفي فتوحاته وانتصاراته إن شاء الله ، سيكون سعود يا أبي رجلاً لا تزيد الشدة إلا قوة ، ولا يزيد النصر إلا تواضعاً وشكراً لله ، وسهرراً على مصالح الخلق) .

تلك هي الروح التي تلقى بها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ،
بطل الجزيرة وليث العروبة رحمه الله ، ولده سعود الملك . يرجوه وهو في طفولته
رجلاً ورجلاً غازياً ، وفاتحاً ومنتصراً ، ورجلاً لا تريده الشدة إلا قوة ،
ولا يزيده النصر إلا تواضعاً لله وسهراً على راحة خلقه .

ونشأ سعود في رعاية ذلك البطل عبد العزيز آل سعود ، وتفتحت عيناه
أول ما تفتحت على السيف في يد أبيه ، واستمعت أذناه أول ما استمعت
إلى أخبار البطولة وقصص المروءة — يحكيها الرجال عن عبد العزيز ،
في ذلك الجو المليء بالمكرمات — نشأ سعود في بيت المجد ، يحبو والسيف
وقرى الضيف أمام ناظره .

فتربى بين المكارم ودرج على صروح العظام ، فتلك القوافل تغزو وأبوه
قائدها ، وتلك الأفواج تدخل البيت لتأكل وأبوه مطعمها .

وهو في التاسعة من عمره ، يأتيه الربى والمؤدب والمعلم والموجه ، وكل يحمل
في يمينه كتباً تفتح ، ليلقن منها سعود دروساً ، فإن سئل سعود ، الصبي صورة ،
الرجل تفكيراً وتديراً وعقلاً ؟ : ماذا يلقن ؟ أجاب في اطمئنان وتؤدة :
قرآن كريم ، وسنة حميدة ، وتاريخ للخلفاء ، وعرض للعالم الحاضر في الغرب
المتقدم ، وعرض للشرق المسلم وذل الحاضر فيه .

غَزَايَات

وفي تلك المدارج من عالم الجد والعلم والمعرفة أخذ سعود علمه ومعارفه ،
ومن بين سطور النور ومن معارف السنة المحكمة ، كان الغذاء .. الذي تربى
عليه وبه ضميره الحاكم المسلم — فكان المثل الحى لرجولة عبد العزيز وأخلاق
عبد العزيز ومروءة عبد العزيز وبطولته .. فامرت فترة في حياته شعر فيها بأنه طفل
أو صبي غير مسئول ، فهو لم يرب تربية أولاد الملوك المدللين ، ولم يخرج من
الخصام غير مبين لأنه لم ينشأ في الحلية رهين التدليل والمداينة ، والمرأاة لن
يتولى رعايته من خدم بيت الملك ، كالمعتاد والمعروف في قصور الملوك .. لا ..
لم يمس سعود بشيء من ذلك .

فها هو يحملّه والده المسئولية وهو في الثالثة عشرة من عمره وأية مسئولية
في هذه السن تُحمّل لسعود ؟ ..

نعم . إنها مسئولية دبلوماسية خطيرة ! ! ! . فكيف يحملها فتى
في الثالثة عشرة من عمره .

ولكن : هل كل فتى تحصن بالعلم ، ودرج في معارج الأبحار التي درج
عليها سعود ؟ .

إنه وقد تربى في رياض العلم الذي تربى في رياض نوره — عبد الله بن عمر —
وخالد بن الوليد ، وأفذاذ جند الله الخالدين — لا نستكثر عليه في تلك السن
المبكرة ، أن يهتف به أبوه (ياسعود) — فمتفجر الرجولة من بين عينيه

ويجب : (لبيك أبى : هل من تكليف ؟) .. فيجب الأسد شبلة : نعم
اجلس يا سمود .. ، ويكلف الملك ابنه الفتى — بالمهمة الدبلوماسية الخطيرة ..
حين يأمره :

(اذهب يا سمود إلى بلاد قطر وتسلم من أميرها ، عبد الله بن ثانى سلمان بن
محمد الذى فر إلى تلك البلاد — عقب حرب العجمان فقد تشفع فيه لدينا
أميرها ، كن حكيمًا يا ولدى ، وأد واجبك فى تواضع وحكمة ، وعزم وجراءة ،
فيشير سمود بالطاعة ويقبل يدى والده العظيم ويطلب منه الدعاء وينصرف إلى
مهمته ، فيؤديها على خير ما يؤدى به الرجال واجبهم .

ولقد برهن سمود باجتهاده فى التحصيل والمعرفة ، وحسن أدائه لما يلقى عليه
من التبعات الجسام وما يتبعها من تصرفات حكيمة ، أنه سبق سنه .. إذ وقف
بجانب أبيه منذ سنى حياته الأولى ، لا يشعره بأنه صبي له آمال الصبية وأحلام
الصغار ؛ بل وقف ليقول له : (إني رجل يا أبى) — (فلك أن تحملنى من
رسالتك ما تأتمن عليه الرجال ، وأنا أولى الناس بحمل الأعباء وكتمان الأسرار ،
وخوض بحار المسؤولية حتى أرفع عنك بعض أثقال الحكم يا أبى) ، وكأنها
سمود للملك .. فحمل رسالة الرجولة ومسؤولية البطولة من الثالثة عشرة وهكذا
لا ينبج العظيم إلا عظيمًا ، ولا تأتى الأسود إلا بالأسود ، ولا يخلف الرجال
إلا رجال .

وبعد أن عاد سمود بعد عودته من قطر ناجحاً موقفاً ، هل ركن إلى الراحة ،
وسكن إلى ما يسكن إليه أمثاله من أبناء الملوك والعظماء .. ؟

كلا : — بل وقف بجانب أبيه يحمل عنه كثيراً من مسئوليات الحكم
وقضايا الدولة — حتى كانت الحرب التى اشتعلت نيرانها فى (تربة) ... فقاد

الشاب وهو فى السابعة عشرة من عمره جيشاً ، وسار به بحكمة القائد المحنك ، فأدب القبائل الموالية لأعداء أبيه وجعل منها أنصاراً وموالين لوالده الملك العظيم . فإذا ترى أيها القارىء فى سيرة هذا البطل الذى تدفقت منه الحيوية ، منذ نشأته الأولى ، فبرهن على أنه القائد العظيم وهو لما يزل فى ريعان الشباب وميعة الصبا .

أترأه ملكاً سبق إليه ملك موروث ؟ . أم ترى فيه ملكاً غازياً ، اعتلى بجدارة أقدس ملك فى العالم . . . لا عن طريق الوراثة فحسب ، ولكن عن طريق الاستحقاق والجدارة بما قدم من خدمات وما عانى من كفاح ونضال إن عرش الجزيرة بالنسبة إليه حق مكتسب وليس ملكاً موروثاً .

ولم تنته حياته الحربية عند هذا الحد بل تعدت تأديب الخصوم المعصاة بترية حروب عدة تولى فيها قيادة الجيوش ولم يعد منها جميعاً إلا منتصراً مظفراً .

نعم لقد عز على قبائل نجد وعشائر الجزيرة ، وفى مقدمتهم آل الرشيد أن يهزموا فى كل بقعة من بقاع الجزيرة ، فجهزوا جيوشاً وتحصنوا فى البلاد الشمالية من الجزيرة ، وأعدوا العدة لحرب عبد العزيز الذى لا يكاد ينتهى من نصر إلا إلى نصر . . .

ولما بلغ الفتى سعود التاسعة عشرة من عمره فى سنة ١٣٣٩ هـ ولاد أبوه القيادة ليهاجم تلك الجيوش التى تكتلت فى بلاد الشمال لإفلاق سلطان آل سعود والحد من نشاطهم مرة أخرى .

وخاض البطل سعود غمار تلك الحروب مرفوع الهامة يقود جيشاً لم يهزم في غزوة واحدة منها ، وكان آخر تلك الغزوات التي طهر بها سعود العظيم بلاد الشمال من شبح آل الرشيد والتي فيها أسلم عبد الله المتعب آل الرشيد نفسه للبطل سعود ، وبذلك استتب الحكم لآل سعود في جميع بلاد نجد ، ولم يعد هناك من يناوئهم ، غير أن البطولات لا تنتهى أبداً عند الرجال ، والأبطال لا تستريح ضمائرهم إلا تحت ظلال السيوف ، بل إن أجل وأجل ما يهر الرجل ويسعده في الحياة ، أن يرى نفسه في ميدان الوغى ودعاء الحق يناديه للاستشهاد في سبيل ما آمن به وقاتل من أجله .

وهكذا كان عبد العزيز وسعود في ركابه لا يفرح لأنه انتهى من حرب ولا يطرِب ويزهو لأنه انتهى إلى نصر يعود بعده إلى الأهل والعشيرة بأنس بزوجه وولده وذويه ، لا يفرح لهذا بقدر ما يفرح بحرب جديدة تناديه ، وواجب جديد يهتف به ليفتدى به دينه وبلاده من عدو معتد أو جاهل غشوم .

وهكذا لم يسترح سعود من حرب آل الرشيد إلا ونفث الشيطان في جماعة من أهل نجد تغالوا في دينهم بغير درس وبحث ، وعرفوا الدين في صور محدودة وإطارات محدودة الزوايا ، وأراد عبد العزيز أن يفهم هؤلاء القوم أن الدين شريعة وقانون ، ودرس وبُحث وعلم ، واختراعات وفنون وحروب وصناعة وأن الإسلام يتسع لكل علم في كل زمان ومكان ، لأنه الدين الجامع لعلم السادة والروح . ولكن تلك الجماعة المتغالية من الوهابيين المتطرفين حكمت على عبد العزيز الإمام التقى بالكفر . . وأباحت دمه بعد أن كانت بالأمس تحارب تحت إمرته .

ماذا فعل هذا التقى الصالح المجاهد في سبيل الله يا ترى حتى أبيع دمه ! ؟
لقد أراد بالدين خيراً وبالوطن عزاً ، فاتصل بالعالم وأخذ يرتقى ببلاده يقيم
في ربوعها دولة فتية ، لتنبأ مكانها اللائق بها بين الأمم . في الشرق والغرب ،
بل أراد أعلى من ذلك ، أراد أن يقول للعالم كله : (الإسلام دين وعلم ، وتشريع
وتقنين ، وحرب وسياسة ، وحكم وعدالة ، ومساواة وإنسانية) .

ألسنا للأسلحة صناعات ، وللكيمياء أرباباً وللحرب قواداً وللعلم رجالاً ،
وللديمقراطية دعاة ، وللحكم ولاية ؟ .

نعم . أراد عبد العزيز أن يقول ذلك للعالم ، وكان بجانبه سعود الابن الأكبر
ولم يكن في استطاعة عبد العزيز أن يقول ذلك للعالم ويصدقه إلا إذا اختلط بالعالم
وعامل الأمم شرقاً وغرباً ، وكان له ذلك ، أدخل في بلاده الآلات الحديثة ومد
الأسلحة بين أنحاء مملكته ودعا الخبراء من علماء العالم لدراسة تربة أرضه الغنية
فقامت لذلك ثورة المتطرفين من الوهابيين في سنة ١٣٤٧ هـ — في منطقة (السبلة)
لمهاجمة الملك عبد العزيز أثناء عودته من الحجاز بعد تأديته فريضة الحج ولكن
الله لم يمكن لهؤلاء الخوارج من العبد الصالح ، (أرادوا أن يطفئوا نور الله
بأفواههم وبأبى الله إلا أن يتم نوره) .

وقامت المعركة الفاصلة بين الجيوش السعودية (والإخوان) العصاة بالسبلة
وهي تقع بين الحجاز ونجد وكان سعود فيها قائداً لأهل العارض .

وما لبث أن أصبح قائداً عاماً للجناح الأيمن وخاض بنفسه ساحات القتال
في تلك الحرب حتى ركز بيمينه أعلام النصر فوق قمة المجد السعودي .

ولم يكذب البطل سعود يستريح من تلك الحرب الطاحنة حتى علم أن جماعة من العصاة لم يفيئوا لرشدكم بعد تلك الهزائم الجسام ، فأخذوا يرابطون في الأحساء فقام في سنة ١٣٤٨ إلى الأحساء لمع العصاة من اتخاذ تلك المنطقة حصناً لقوتهم أو قاعدة لغزوهم واعتداءاتهم .

ولم تقف مهمته عند ذلك العمل الحربى بل تعدته إلى عمل الحكيم الدبلوماسى ، فقد أخذ يبين للخلق الحق الذى قام عليه حكم آل سعود وأنه بداية لحكم إسلامى عادل ، يعمل له كل مسلم متفاضياً عن أى خلاف بين المسلمين فى رأى أو المذهب .

وبحكمته ورشاده استتب الأمن فى تلك المنطقة فقد أقام فيها الملك سعود عدة شهور ، كم تأزمت فيها الأمور بما يحاك من فتن الخوارج ، ولكن النفس الكبيرة لا تجدها إلا دائبة ومصممة على الوصول إلى ما تجاهد من أجله مهما كلفها ذلك الجهاد .

كذلك نجد سير عطاء التاريخ ، لم تنته أيام النضال والجهاد والإصلاح من حياتهم ، وإن بلغوا غاية المجد الذى يدعون إليه — بل هم كلما انتهوا من فوز ، قاموا ينادون لفوز جديد ومجد جديد وهكذا تتعاقب الأجيال ويتصل الفوز مدى حياتهم .

أقام سعود الأمن فى الأحساء وقضى على الخوارج فهل قنع بذلك ؟ كلا بل أقام فيها حتى جعل منها لحكم آل سعود رعية منتصرة لراعيها ، وكم تأزمت الأمور حين كان فى الأحساء ، وكم تراكت عليه المسؤوليات ، ولكنه الرجل الذى لا يبالى بالأزمات ، ولا تفت من عزيمته الشدائد

هو الإنسان الفاهم العالم المحنك المجرب ، الذى يتخذ من تلك الأحداث دروساً يتخذ منها علاج الحاضر وتحصين المستقبل .

وهكذا تمر الأيام والقائد البطل يعمل على تأديب المشائر ، وفتح الأمصار حتى استيقظ ذات صباح على صوت والده يناديه : يا سعود أجه برجالك إلى اليمن ، فقد تآزمت بين اليمن وبلادنا الأمور ، ولبي سعود نداء الملك ، فولى وجهه ، والفيصل أخوه فى يمينه ، شطر اليمن ، وفى ركابه جيش يؤمن برجولته وشرفه العسكرى ، فهو المغوار الذى يتقدم الصف الأول دائماً ، وهو الذى يبسط صدره دائماً وذراعيه كجناحي النسر ترميان بالسهم وتضربان بالقوس ، وليس من وقاء على ذلك الصور المنبسط فى ساحات الجهاد ، إلا إيمان يشتمل نوره فى قلب متوكل على ربه مستعين به .

والجند عندما تؤمن بولاء القائد ، وحسن إيمانه ويقينه فى النصر ، تتخذ من ولائه هذا للقتال ولاءها فى القتال .

وليس بدعاً أن ولاء الجند للقائد يصنع من جيشه وحدة متماسكة فيقاتل الجيش كله بيد واحدة وقلب واحد ، لينال بذلك النصر المرتقب . ولقد كان الجيش السعودى حول سعود رجلاً واحداً ، يشق به سعود فيافي الصحارى ويصعد به حتى ارتقى إلى (صعدة) — ولم يرده عن التقدم فى داخل الأراضى اليمنية إلا والده الملك العادل الذى قال له : قف يا سعود ، إنما قاتلنا اليمن لتكون الأخوة وتكون الصداقة ويكون العفو — عفو الأخ عن الأخ — ولن تكون ثمة فتنة بيننا وبين اليمن وإنما هى إخوة وصداقة وتعاون .

ياسعود ليست رسالتنا غزواً للمسلمين ولا تحكماً فيهم — ولكننا إذا اعتدوا علينا فقط أثبتنا لهم أن القوة لله جميعاً ، وإن رسالتنا واحدة ، وفي قدرتنا أن نقاتل — ولكن في طبعنا أن نغفو وأن نصافح كل مسلم ونصفي معه الحساب حتى بعد عدوانه علينا وانتصارنا بالله عليه ، فخرج ياسعود عن اليمن واركب اليمن لأهله فنحن إخوة بتلك الروح العالية كانت حروب سعود تحت لواء والده العظيم وارشاده لتدعيم الأخوة ولتأديب الخارجين على توحيد الصفوف في الجزيرة العربية والوحدة الإسلامية التي رأى عبد العزيز بثاقب فكره أن عودة مجدها لا تكون إلا بتوحيد صفوفها وتدعيم بنائها تحت راية واحدة وبتلك الحكمة التي أنهى بها عبد العزيز غزو اليمن ثم التسامح وتوثقت عرى المحبة والصداقة بين الشعبين الإسلاميين ، وأصبح عفو عبد العزيز رمزاً عملياً لحسن نواياه بالنسبة لجميع بلاد المسلمين .

وإن في موقعة الحمل في السنوات الأولى لضم الحجاز إلى المملكة العربية السعودية لأكبر دليل على حسن نية الملك العظيم عبد العزيز ، الذي كان يعمل للمسلمين جميعاً وللجزيرة على وجه الخصوص وسيرى القارئ حين أسرد عليه هذه السطور القليلة عن موقعة الحمل أن عبد العزيز كان رجلاً عظيماً ، جديراً بأن يكون إماماً عاماً للمسلمين ، فقد اعترفت جميع حكومات الشرق الإسلامي بالحكم السعودي في الجزيرة ولم تعترف به ، مصر في ذلك الحين ، وأصر الملك فؤاد على عدم الاعتراف وأخيراً اعترف به على أن يحج الحمل بدون إقامة مراسيمه التقليدية في الحج ، ولكن

المتطرفين من الوهابيين هاجموا المحمل في الطريق إلى عرفات فكانت موقعة خطيرة كادت تسبب حرباً بين مصر والحكومة السعودية ، لولا حكمة عبد العزيز وبطولة أشباله ، إذ أرسل ولديه العظيمين سعوداً وفيصلاً إلى مكان المعركة .

وكان وابل المدافع الرشاشة التابعة للجيش المصرى ، يرد على سيل بارود الوهابيين المتطرفين وكاد أوار المعركة يشتد لولا اقتحام الشبلين العظيمين لها تحت ذلك الوابل من النار بثياب الإحرام ، فناديا الفريقين بالسلام وبأنهما رسل عبد العزيز إليهما ؛ وبأن الجمعين يسعيان فى هذه اللحظة إلى غاية واحدة إلى كعبة الله ، وأن الكل الآن يقف فى صعيد واحد منادياً لبيك يا الله ؛ لبيك اللهم لبيك .

وبذلك وحده وقفت عصبية الوهابيين العنيدة وأغلقت فوهات مدافع الجيش المصرى وصافح الفريقان سعوداً وفيصلاً وتنادى الجميع بالسلام ، فكان ذلك دليلاً على أن عبد العزيز ينشد للعالم كله السلام وللإسلام خاصة أخوة ووحدة ولو افتداها بأعز ما يملك (سعود وفيصل) ومن خلفهما آل سعود وجيوشها التى أعدت للقتال فى سبيل الله .

بتلك العبقرية العربية العريقة كان عبد العزيز وكان قائده الأول سعود ومن حوله رجال يعملون جهد طاقتهم ليستتب الأمن فى الجزيرة وخارج الجزيرة وليكون أمناً عاماً بينهم وبين جميع المسلمين .

ولايك العهد

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » .

وقد ورد في الحديث القدسي : « إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبيه ، فينادى جبريل في أهل السموات : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه ، فتكتب له المحبة في أهل السماء ، ويوضع له القبول في أهل الأرض .

والملك سعود — حفظه الله — ولد والقلوب مجتمعة على حبه ، وآمال الأمة العربية معقودة عليه ، فالكل يضرع إلى الله في حذب وحب وولاء هاتفاً : « يارب أبق سعوداً آملاً باسماً وفالاً حسناً للمسلمين » واستمرت تلك الأكف مرفوعة ضارعة وتلك القلوب محبة وداعية له ، حتى كان السعود الذي تحققت به الآمال وسعدت به الآفاق ، فعمت الجزيرة الخيرات وقامت به الغزوات والفتوحات ، وكان النصر معقوداً بلوائه دائماً في كل حرب أمره أبوه العظيم أن يخوض غمارها .

وما كاد سعود ينتهي من الغزو والنصر والفتح إلا واتجهت همته السماء إلى وضع الأسس لمشاريع الإصلاح الوطني التي تدفع بالبلاد المقدسة إلى عالم الحضارة التي يجب أن تتربع على مقعدها بين الأمم . ولا عجب فهي أمة غرست يديها في القرن الأول من الهجرة بذور الحضارة للعالم ، ووضعت بشريعتها أسس العدالة الاجتماعية وأسس الحكم الدستوري الديمقراطي بكتاب منزل من السماء لا ينفذ الباطل من بين يديه ولا من خلفه .



عاهل الجزيرة العربية جلالة الملك عبد العزيز
وقد وقف بجواره ولي عهده الأمير سعود

نعم أخذ سعود يفكر مع رجال مسؤولين ومع شباب من الشعب في صالح الشعب ، ويعرض ذلك على والده العظيم ، والشعب السعودى عن بكرة أبيه يهتف من الأعماق حياً سعوداً وبأى أمر كان يحى سعود ؟ هل ينثر الزهور ورش الرمال وترين الطرق في غدواته وروحاته ؟

إن هذه أعمال يعتبرها تافهة إذا قيست بما ينبغى أن يقدم إلى قادة الأمم وأصحاب المواقف الفريدة المشرفة .

فإن أجل وأقدس ما يحيا به الرجل أن تقلده أمته أخطر وأجل مسؤولياتها ، وأية مسؤولية تحمل خطراً وشرفاً ومجداً من مسؤولية تنصيب أمة لمن تحبه ولياً لعهدها لأنه قدم من معانى الرأى للشعب ... وما أعظم الولاء ، وما أقدس الوفاء ، إذا كان مصدره للوالى حب الشعب واقتناعه واطمئنانه لإخلاص من يوليه أمره ويركن إليه .

وكانت ولاية العهد هى التحية العظيمة التى نادى الشعب بها الملك العظيم (عبد العزيز) فاستجاب الملك للشعب المؤمن بإبنه الأكبر فكانت بيعه شرعية من الأمة لسعود الذى استحقها بجداره .

وكانت وصية الملك بالولاية استجابة للمنادين بالبيعة لمن توفرت فيه الشروط الشرعية فى مبايعة ولاية المسلمين .

وإننى لأقدم صورة ناطقة بالحقيقة التى قامت عليها تلك البيعة لسعود وهى صورة صادقة لما يختلج به قلبه المؤمن دائماً من خوف من الله وخوف على الرعية وحب لله وحب للرعية ، ويتضح ذلك جلياً فيما تبودل من الكتب بين الملك الصالح والابن البار عندما أجمعت الأمة على ولاية العهد يؤيدها مجلس الشورى الذى يمثل أهل الحل والعقد فيها .

وإليك أيها القارئ العزيز تلك الوثائق التاريخية التى تصلح لأن تكون علماً يدرس فى المراقبة الربانية .

قرار مجلس الشورى

الحمد لله الذى لا إله إلا هو مصرف الأمور فلا معقب لحكمه ومدبر الكائنات فلا راد لقضائه ، نحمده على ما أنعم به علينا من نعمة الإسلام الذى جعله دين صفوته من بريته ، وخص به من استخلصه من أهل طاعته ، وأقامه نبزاً نهتدى به ، ونستنير بنوره سبحانه هو القائل فى محكم كتابه (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) نحمده أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على نبيه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم .

أما بعد فإن حضرة صاحب الجلالة ملكنا العادل الموفق ناصر السنة ، قانع البدعة (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود) ملك المملكة العربية السعودية أيد الله ملكه وأمد فى عمره وأدام تأييده ونصره ووفقه إلى طاعته ومرضاته لما رأى بعين حكمته الساهرة على راحة رعاياه والعاملة على تثبيت دعائم هذا الملك العربى الوطيد وتشيد أركانه وإدامة تسلسله أن يجب طلب رعاياه ويوافق على تعيين شكل واضح ثابت لولاية العهد كما ورد فى أمره الملكى الكريم الصادر فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ - الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ وأن يسير فى ذلك على النهاج الشرعى الذى سار عليه خلفاء المسلمين وملوكهم وأن يعقد البيعة بولاية العهد على من كان مستجماً للشروط الشرعية المرعية .

هذا ولما كان حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها فيمن

يخلف ولي الأمر أمد الله في عمره ، وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية ؛ نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله ونسأل الله له الهداية والتوفيق ونضرع إليه تعالى أن يمد في عمره وعمر والده الملك العادل الموفق خلد الله ملكه .

وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا ونشهد الله على ذلك والله خير الشاهدين وما هو الواقع في يوم الخميس المبارك الموافق ١٦ محرم الحرام من العام الثاني والخمسين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة سيد المرسلين (الموافق ١١ مايو سنة ١٩٣٣) .

برقية جلالة الملك

الرياض . الابن سعود :

لقد أحطت علماً بما ذكرت ، أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير . نفهم أننا نحن الناس جميعاً ما نمر أحداً ولا نذل أحداً ، وإنما المزم والمذل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ومن اغتر بغيره — عياداً بالله — وقع وهلك . موفقك اليوم غير موفقك بالأمس . ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور .

أولاً : نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله . وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك تعبد الله في الرخاء تجده في الشدة وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان

وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق والعمل الخفي للذين بين المرء وربّه .

ثانياً : عليك أن تجتهد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سرّاً وعلانية والعدل في الحب والبغض وتحكيم هذه الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم .

ثالثاً : عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة وفي أمر أسرّتك خاصة . اجعل كبيرهم والداً ومتوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم وانصح لهم واقض لوازمهم بقدر إمكانك فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فابشر بالخير . أوصيك بعلماء المسلمين خيراً . احرص على توقيهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم . واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة . احفظ الله يحفظك .

هذه مقدمة نصيحتي إليك والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذا . سيبايعك الناس في الحجاز يوم الإثنين وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز وليبايعوك عن أنفسهم وأرجو من الله أن يوفقك للخير .

عبد العزيز

جواب سمو الأمير

جلالة مولاي الملك المعظم أيده الله :

جواباً على برقية مولاي فإن جميع ما ذكره مولاي لخادمه هو عين الصواب وأنه لا قوام لديننا ودنيانا إلا بالله ثم به . من اتبعه نجا بنفسه ونجا من ولاء الله عليه . وإني إن شاء الله سأجتهد وأعتمد على ما ذكره مولاي من النصائح الدينية والدنيوية . وأرجو إن كان الله يعلم مني ذلك أن يوفقني لرضاه ثم لرضا جلالته وأن يوفقني لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وولاياتهم وإن كان يعلم مني ضد ذلك فأسأله تعالى أن يكفي المسلمين شرى وأن يرد كيدي وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره . وسأبذل الاجتهاد إن شاء الله في سبيل كلمة التوحيد . وتقويم الشريعة المحمدية . والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً والنصح لولاياتهم والأمم بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة ذلك على كل كائن من كان . أرجو الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد . إن النية التي ينطوي عليها خادمكم إن شاء الله هي :

أولاً : إعلاء شأن كلمة التوحيد وتأيد الشريعة الإسلامية والنصح لولاية المسلمين وإزال الناس منازلهم خصوصاً أسرتنا كبيرهم وصغيرهم كما تفضل به مولاي . كبيرهم أب وأوسطهم أخ وصغيرهم ولد والعدل بين الرعية ، وإني أعاهدك بالله على ذلك وإني ما ألبس ثوب عافية دونها وسأكون إن شاء الله مقبلاً لعثرتهم ، حليماً على جاهلهم . وهذا إن شاء الله هو العمدة في الدين والدنيا .

ثانياً : سأتحذد الصدق إن شاء الله والإخلاص والجد في العمل ، وسأوقر

علماء المسلمين وأجالسهم وآخذ بنصائحهم وسأحضهم على تعلم العلم والتعليم وهذه العقيدة والتوفيق بيد الله .

ثالثاً : إن ما ذكره مولاي عن موقفي أمس وموقفي اليوم ، وأن الأمر لا يصلح إلا بالعمل الصالح والخالص لوجه الله ، وعبادة الله وحده والتضرع إليه في الخلوات ، والالتجاء إليه وحده ، فهذا الذي فيه النجاة ، وهذا الذي يرجى به التوفيق إن شاء الله ، لأنه كما ذكر مولاي من التجأ إليه نجا ومن اغتر بغيره وقع وهلك . نرجو أن يمن الله علينا بالهداية ، وأن يأخذ بناصيتنا ويستعملنا فيما يرضيه وبما يكون فيه صلاح للدين ولولاية المسلمين ، وإني لأعلم بأن الله لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التي بين الإنسان وربه ، وأرجو أن يوفقنا الله لذلك . وإن شاء الله إن صلاحك سيصلحنا ، وإن نيتك الطيبة إن شاء الله تعمنا . والأمور التي أوصيتني بها أضعها نصب عيني ، وسأبذل جهدي إن شاء الله بما يعود منه المصلحة لديننا ودنيانا والتوفيق بيد الله ، وأرجو من الله أن يديم لنا ولكافة المسلمين بقاءكم ولا يرينا فيكم ما نكره . والله يا طويل العمر إني يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتي وضيق صدري ، والله أسأل أن يطيل عمركم ويجازيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، أوصيت فأبلغت وستظل وصيتك في قلبي راسخة إن شاء الله ما حييت . وأرجو أن يمد الله لنا في حياتك . . ذكر مولاي أن البيعة تكون يوم الاثنين في الحجاز وأن الأخ فيصل والعائلة سيقدمون إلينا بالبيعة حياهم الله والذي يراه مولاي هو المبارك إن شاء الله وإني أنتظر ما سيتفضل به على مولاي بمد هذا ، وأرجو من الله أن لا يخلينا منك وأن يتمتعنا جميع المسلمين بحياتك .

هاتان هما الرسالتان المتبادلتان بين ملك دانت له الدنيا في أقدس مملكة في الشرق وبين خليفة الملك المرتقب ، لذلك الملك المهاب المستقر بولاء الحاكمين لله وللرعية وبولاء الرعية لله وللحاكمين .

إن تلك الوثائق التاريخية اعتراف من الشعب على لسان أمنائه المفكرين أعضاء مجلس الوكلاء والشورى بأن سعوداً رجلاً عرف كيف يستجيب لنداء الله ونداء أبيه العظيم الساهر على مصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كما أننا نلح في وصية الملك لولى عهده تلك الروح الإسلامية العميقة التي تربى سعود في أحضانها والتي كانت تملئ على والده العظيم كيف يحكم بلاده . وربّه بين عينيه كما نأخذ من رسالة الابن لأبيه ما يقيم الدليل القاطع على أن ضمير سعود تربى ليكون محكوماً بالله وحاكماً لخلق الله بما يحب الله ويرضى ، وذلك هو السنن الحكيم الذي أمر به محمد عليه الصلاة والسلام (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والحكم وسياسة أمور الرعية من أقدس أبواب العبادة في الإسلام . فليس أغلى على الله من رجل يقول كلمة حق في حضرة حاكم ظالم — فما بالك بحاكم إن ظلم بكى واعتذر عن ظلمه وإن عدل وأنصف تواضع وبكى وقال إن الله وفقني . إن الضمير المؤمن بحساب الله ولقائه قد تخلل حواس سعود ومشاعره . فأيقظ فيه غريزة الخوف من المراقب الأكبر الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ساعة عرف سعود وتأكّد أن أمر ولايته لهذه الأمة أصبح أمراً مجمعاً عليه . يبدو ذلك واضحاً في قوله في آخر رسالته لأبيه (والله يا طويل العمر إني يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبراتي وضيق صدرى والله أسأل أن يطيل عمركم

ويجازيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، أوصيت فأبلغت وستظل وصيتك في قلبي إن شاء الله ما حييت) .

وواضح إيمان سعود بوصية أبيه تلك الوصية التي أبان فيها عبد العزيز لولده أن الفعل الأول في تصريف شؤون الخلق هو الله ، وأن للخالق — سبحانه — خلقاً أحبهم فنصبهم ولاية على خلقه يحكمون فيهم بما أنزل ويحكمون أنفسهم بما فتن نبيه في شريعته ، ومن خلقه خلق ، ولا هم أمور الناس ليختبرهم فهان الله في نفوسهم وخانوا أماناته وعطلوا شريعته فصرف الله عنهم قلوب الرعايا وسلط عليهم شهوة النفس وشهوة الحكم فضاعوا وضاع الحكم من أيديهم .

نعم إن من يتعمق في وصايا عبد العزيز ليجد تلك المعاني تحملها عبارة واحدة من وصيته عندما يقول لولده (نحن الناس جميعاً ما نعر أحداً ولا نذل أحداً وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه ومن التجأ إليه نجا ومن اعتر بغيره — عياذ بالله — وقع وهلك) .

وارجع ياسيدي إلى بقية وصية الملك لولده تجدها قانوناً للمراقبة الربانية .

وكأنني بالوالد الحكيم يقول لولده في تلك الوصية الخالدة :

« ياسعود : راقب ربك في كل شيء تجده معك في كل شيء إياك أن تنساه في الشدة وإياك أن يهون عليك أمره في الرخاء الملك له وأنت من عبيده فيه والخلق له وأنت من المسخرين لخدمته بأمره وتحت عينه فأحسن العبودية تجده رباً رحيماً وأحسن الأمانة فيما سخر لك له تجد العون منه وأحسن الجزاء .

وقد فهم سعود ما أوصاه به أبوه فهماً عميقاً ، وفقه حكمة تلك الوصايا وممرهاها بروحه المشرقة المتألقة ، ليعيش بضميره في معانيها ثم يسكنها قلبه لتكون الحاكم لمشاعره وأحاسيسه والموجهة لرأيه والمرشدة له في عمله .

مسئوليّاته وهو ولى للعهد

الحاكم العظيم عندما يحمل مسئولية أمة منحتة ثقها يعيش طوال ليله ونهاره ساهراً على مصالح هذه الأمة ، وهذا ما فعله سعود بعد ما أصبح مسئولاً عن رعاية حق الذين بآيموه بالأمس لا كوارث لعرش الجزيرة العربية فحسب بل لجميع المسلمين ولا عجب فالجزيرة هي المنارة التي ينبعث منها الإشعاع الروحاني الأقدس فعرشها هو عرش ولاية المسلمين قاطبة .

ولم يشأ أبوه العظيم أن يستجيب لرغبات الشعب ويحمّله شرف ولاية العهد إلا ويحمّله عملياً مسئوليات الملك الفعلية يسوسها تحت عين عبد العزيز اليقظة وضميره المسلم وروحه المؤمنة وقلبه المتوكل على الله الساهر على مصالح المسلمين عامة . ومصالح شعبه خاصة . وأراد عبد العزيز بذلك أن يطمئن بنفسه على ما سيكون عليه خليفته من بعده في الأمة التي قدم روحه على كفه في سبيل مجدها يوم خرج إلى الرياض ليفتحها بثلاثين رجلاً ويوم خرج ليصافح أهل الحجاز ليقم فيه حكم القرآن المنزل في ربوعه وليناضل تأمر الغرب الكافر والشرق المنحل في دينه .

فإذا فعل سعود بعد أن حمّله أبوه مسئولية الملك ليدرّبه عليها تدريباً عملياً حتى إذا كان القدر وحّم القضاء . وانتقل عبد العزيز عبداً صالحاً إلى الدار الآخرة ليجد هناك جزاء ما قدمت يداه زرابي مبشّوة ونعياً لا مقطوعاً ولا ممنوعاً .

لقد نهض سعود بالرسالة التي أخذ نفسه بها ، وعقد عزمه على تحقيقها ، وعاهد الله وأباه وأُمَّته على أن يسهر عليها .

رحلات

لم يكن أمام سعود بعد أن غزا القلوب والأمصار وانتهى منها إلى مواقف مشرفة يشهد بها التاريخ ، لم يكن أمامه بعد ذلك إلا أن يجوب الممالك ويتفقد أحوالها وشمونها وبقف على مدى تقدمها ورفقها فأخذ يقوم برحلاته في بلاد الشرق والغرب وكان في صنيعه هذا استجابة لرغبة أبيه وعاهله الملك عبد العزيز .

قال له عبد العزيز يا سعود ، اخرج إلى العالم وصافح الشرق بيمينك والغرب بشمالك ، وبين للناس من هم العرب واتجه بأنظارهم إلى الجزيرة ، وانظر ماذا في عالمهم وأتني به واعلم أن رسالة (محمد) لم يُحدد مكانها ، بل أرسله الله بها للعالم كافة ، ونحن ورثة محمد والدعاة لله عنه يا سعود .

فصافح برسالة السلام العالمين ، وحقق رسالة الإسلام فيها بأن توحد صفه وترتق فتقه وتلم شعثه .

وجلس سعود يتساءل : ترى ، ماذا أصنع في الغرب والشرق ، إنني لم أخرج عن الجزيرة قبل اليوم ، اللهم إلا في تلك المرة التي زرت فيها مصر بدعوة من حكومتها ، وكانت رحلة دبلوماسية خطيرة ، ومع ذلك نجحت فيها وعدت مظفراً بالنصر إلى بلادي .

لقد طافت بمخيلة سعود تلك المجالس التي اجتمع فيها بالملك فؤاد وتلك الدبلوماسية التي ناقش بها الحكام ومرت بذهنه زيارته الجامعة المصرية ودور العلم والصناعة إذ شاهد سعود في مصر صورة مصغرة للحضارة وآمن بنهضة بدأت

في بلد من بلاد الإسلام وناقش فيها رجال دين ورجال دنيا وعاد منها وقد انتهى كل خلاف كان بين البلدين ، فكانت رحلة موفقة ظفر فيها بصداقة مملكتين وارتباط حكومتين وحب شعبيين .

لقد فكر سعود وأطال التفكير وراح يحدث نفسه : إذاً على بركة الله . . . سأخرج من الجزيرة لأعود إليها بصداقة الحكومات ومحبة الشعوب ، ولكني لا بد من أن أعود لأدرس في يقظة وألم أسباب ذل الشرق وسر استعمارهم وكيف تخلف عن مواكب النصر التي بوأها له محمد عليه الصلاة والسلام ، وكافح في سبيل قوتها أبو بكر وعمر .

إن الملك لم يهدأ ولم يسترح . فقد رأى نهضة في الغرب ، وشاهد علماء وصناعة وقوة ، وشاهد في مصر كذلك استعماراً يضارعه كفاح ونضال ، وشاهد إلى جانب ذلك بداية خير في الجامعة المصرية ، ومع ذلك رأى الأزهر المتعثر في تأدية رسالته ، ورأى التآمر على تقسيم وحدة الأزهر وإنهاء رسالته .

— ولم يكفد يعود سعود من الغرب حتى يعم وجهه نحو الشرق المسلم المصاب .

— فزار فلسطين واستمع لأنين الجراح التي أجرتها بها بريطانيا المستعمرة ، ورأى الجريمة يرتكبها خونة آثمون في غير حياء ولا استخذاء وهم يبرمون عقود البيع — بيع أرض فلسطين المسلمة — لليهود النازحين إليها تحت ستار المؤامرات البريطانية الخبيثة ، بل ورأى كذلك الخيانة التي أودت بنا إلى تلك الكارثة الأليمة الفاجعة التي مازلنا نلتمس منها مخرجاً ألا وهي : ضياع فلسطين ، وفلسطين الشقيقة .

وزار جلالته الأردن بدعوة من حكومتها وكذلك زار العراق وشاهد في بلاد الإسلام ذل التفرقة والانقسام وفرق بين ما في الغرب من نهضة وتآمر على الشرق

ليفنيه ويتحكم فيه ، وبين ما في الشرق من تفرقة وتحاذل وأناية شخصية مكنت الغرب المستأسد من الشرق المنقسم المفتت .

كما زار جلالته في معية أبيه العظيم بلاد البحرين ، وكانت تلك الزيارات لبلاد الشرق الجريح سنة ١٣٥٦ من الهجرة ، وفي نفس السنة التي توجه فيها جلالته إلى لندن لحضور حفلات التتويج .

وفي سنة ١٣٥٩ قام جلالته بزيارة الكويت بدعوة من حاكمها وفي نفس السنة أيضاً زار الهند واستقبل في (كراتشي وبومباي) استقبال أئمة المسلمين .

وفي سنة ١٣٦٦ قام جلالته برحلة جوية لزيارة أمريكا بدعوة من الحكومة الأمريكية وقام في تلك الرحلة بمفاوضات هامة مع ممثلي وزارة الخارجية الأمريكية وقابل رئيس الجمهورية الأمريكية واجتمع به في البيت الأبيض اجتماعاً طويلاً وبحث معه علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالعرب وقضايا البلاد العربية وتأمر الغرب على ذبح فلسطين وعلى رأس المتأمرين بريطانيا وأمريكا .

وبعد عودته من أمريكا زار لندن ونزل ضيفاً على حكومتها وأقام بها سبعة أيام زار فيها وزير خارجيتها وبحث معه مخازي بريطانيا في الشرق المسلم .

وقد زار جلالته مصر للمرة الثانية حيث حضر مؤتمر ملوك ورؤساء حكومات العرب في أنشاص في قصر الزهراء ، وقد كانت الدعوة موجهة لهذا المؤتمر من ملك مصر السابق حينذاك (فاروق) إلى جلالة العاهل العربي عبدالعزيز الذي أناب سموداً العظيم عنه في هذا المؤتمر .

ولقد كان المقصود من هذا المؤتمر بحث حالة العرب ثم العمل على توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم في كل ما يتعلق بقضاياهم السياسية وغيرها .

ولقد كانت تلك الأسفار درساً مفيداً للملك سعود حفظه الله .

وقد عاش الملك العظيم بين عالمين حاضر الغرب وحاضر المسلمين عرف منهما أسباب النصر وأسباب الهزيمة ، فدرس أسباب النصر في الغرب كما بحث أسباب الهزيمة في الشرق ثم خرج بأن العالم كله يتآمر ضد الإسلام .

وقد نحتجت خطة التآمر إلى حد كبير حيث قسم الغرب سياسته الخبيثة الوحدة الإسلامية وفرق شملها وشتت جمعها وصير وطنها الموحد أوطاناً مجزأة محددة وقسم جيشها الواحد جيوشاً عدة فصار المسلمون بعد أن كانوا يعيشون للإسلام في العالم كله ليوحدوا صفه وفي وطنهم الإسلامي الواحد ليقومواضعفه ويمدوا في قوته ، أصبحوا يعيشون لمساحات محدودة من أرض مقسمة يقتل أهلها الجوع ويهدد من كرامتهم الجهل .

ثم عندما تيقظ المسلمون وانتبهوا وقاموا يحاربون المستعمر الذي فرقهم إرباً وجزأ أراضيمهم وسلب أقيمتهم ، وجد هؤلاء المسلمون أنفسهم بدلاً من أن يعملوا للأمة الموحدة والوطن الواحد والجيش الموحد والدين الواحد ، يعملون لعدة أوطان ولعدة جيوش ووجدوا أغراضهم مشتتة ورأيهم منقسماً وقد كانوا من قبل أمة واحدة مجتمعة على الله ولدين الله ولوطن الله .

وعرف الملك سعود أصل الداء ثم عرف أن المسلمين جميعاً معترفون بما ارتكبوا ولكن ماذا فعلوا . ؟ . ألم يزالوا يرتكبون نفس الأخطاء وهل فكر سعود في علاج الأمر ؟

نعم إنه يعيش للإسلام ويفكر في العلاج دائماً ولكن هل من مستمع له في أرض الإسلام وهو يفكر ليل نهار في وسائل جمع كلمة المسلمين تحت علم واحد ورأى واحد وجهاد واحد . ؟

فلقد كنت ماثلة بين يدي جلالته في ذى الحجة سنة ١٣٧١ من الهجرة في لقائي الأول ودار الحديث بيننا فيما وصلت إليه حال المسلمين في العالم وكيف العلاج وقال الملك لي حينذاك : يا أختاه ، شيء واحد يصلح به أمر المسلمين جميعاً هو جمع قلوبهم على الله والتمسك بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتناسي الأحقاد والتفاضي عن التعصب المذهبي والطائفي وأن نعيش مرة أخرى متمثلين بالأوائل من أئمة المسلمين الذين سبقونا بالإيمان وبالجهاد الصادق في سبيل الله . وربما اعتقد كثير من الناس أن الإسلام يدعونا أو يكلفنا أن نزهد في الدنيا فنتركها ولكن يا أختاه إن الله سبحانه وتعالى لم يحرم علينا التمتع بالدنيا ، ولكن حرم علينا أن ننسى الآخرة كما كلفنا أن نجتمع الدنيا لنجعلها له سبحانه لا لنعبدها حتى تنسينا لقاءه قال تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولكن ضيع المسلمون الدين بين دعاة التنسك بغير بصيرة ، وجهل الذين لم يدرسوه على وجهه الصحيح فقد درسوا كل شيء عن الغرب فأيدوه ولم يدرسوا أمراً واحداً من أمور الإسلام ومع ذلك أقاموا من أنفسهم حكماً له وعليه فظالموه .

وعلى كل حال أبشري يا أختاه ولا تشاعمي ، فشعور المسلمين اليوم بخطأ الماضي وذل الحاضر فاتحة خير للمسلمين ، إن شعور المريض بالألم يدفعه إلى البحث عن العلاج والأخذ في وسائله .

فقلت : جميل ولكن أين وسائله ؟

قال جلالته : (العمل قبل كل شيء لتوحيد جماعات المسلمين على رأى واحد ولغاية واحدة) .

وثبات

إن تلك المشروعات التي تقدمها ، والتي قام معظمها بمراسيم من جلالة الملك الراحل وتنفيذ سعود وجهده وسهره المتواصل لأكبر وثيقة تنطق في وضوح بأن سعوداً عاش ليحمل الأمانة ويؤديها على أكمل وجه يرضى طموحه ، ويحقق آماله العراض التي يتلاقى عندها إسعاد شعبه وتعمير بلاده والصعود بها إلى معارج الرق حتى تسير ركب الحضارة وتمشي نفورة مزهوة في مصاف الأمم التي أخذت طريقها مسرعة في التطور الحديث .

فلقد قامت المملكة العربية السعودية كدولة قوية ، دستورها القرآن الكريم ، والشرعية السمحاء التي جاء بها سيد ولد آدم ، ذلك الدستور الذي حكم به مؤسس المملكة وبانيها ، صقر الجزيرة الغلاب ، وبمبادئه السمحة القويمة سار سيرته الحميدة ، فضرب به أعناق الطغاة ، وقضى على الفساد والمفسدين ، وقطع دابر قطاع الطرق الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية فساداً وذلك بالقسوة عليهم إذا لزم الأمر ، وباللين والمهادنة إذا قضت الظروف حتى دانت له الجزيرة قلباً وقلباً ، وأحبه أهلها وتفاونا في ذلك حتى أصبحوا اليد القوية التي يضرب بها وينشر في أكناف ربوعها ظلال الأمن والسلام ، ذلك الأمن الذي ذهب مضرب الأمثال في العالم المتحضر .

وبعد توحيد أطراف الجزيرة تحت راية (لا إله إلا الله) الخفاقة وفي ظل الملك العادل والمملكة الفتية التي عرفت الطريق المستقيم إلى النور ، وسارت خطواتها التقدمية مطردة سريمة جبارة عنيفة تشهد الملاء على أن في البيداء

رجالاً ، وأن الصحراء التي أنجبت سيد الأنام وصحبه وأتباعه لا تزال المنبت
الخصب للرجال الأفذاذ والمباقرة الأساوس .

فهذه الحرب العالمية الثانية يندلع لهيبها فيأتى على الأخضر واليابس
وتعانى الإنسانية من ويلاتها الأمرين .

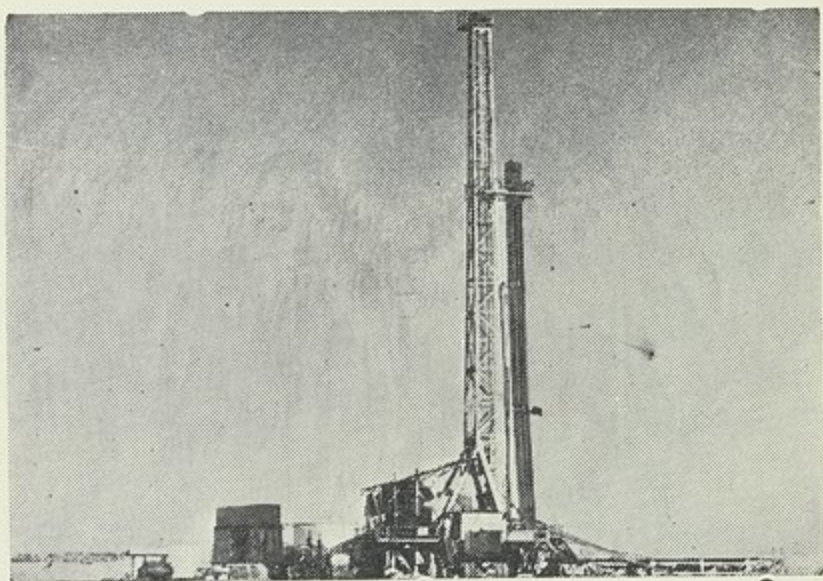
اللهم إلا هذه الصحراء ومن فيها ، فإنها في عزلتها تراقى المعركة عن كثب
وتتحفز للدفاع إذا ديس كرامتها أو اعتدى على حدودها أو دعاها الداعى ...

ولكن الحرب شر وفنتة تفتك بالأبرياء ، فلماذا يُلقى بهذا الشعب البرىء
في أتون هذه الحرب الطاحنة ؟ ومن يستطيع أن يزج به ووراء العقيلة
الجبارة التي صقلتها الحوادث حتى كونت منها رجل الساعة ، وعبقري
القرن العشرين ، إذن فلي لعب بصولجانه في وجه الساسة وليُدر رءوسهم
شرقا وغربا لكيلا يزج بشعبه في المآزق ...

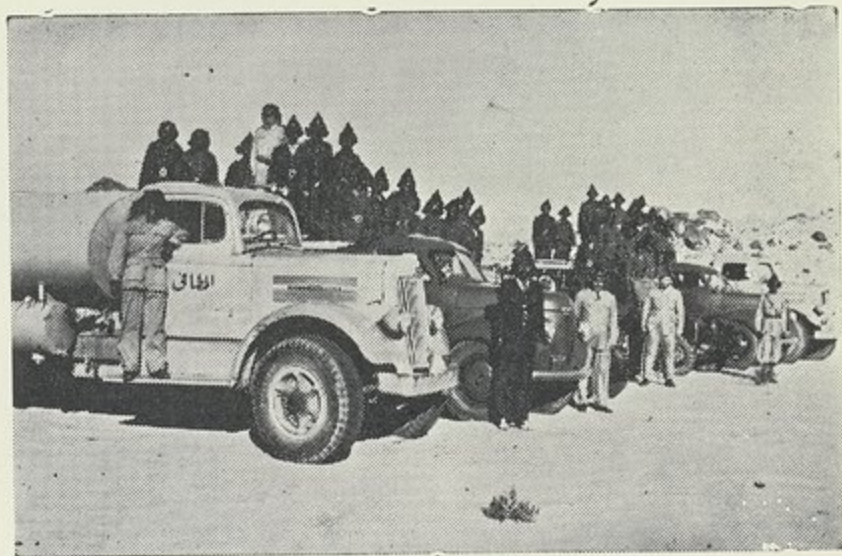
ولهذا وضعت الحرب أوزارها وحمامة السلام ترفرف مفردة في الأماكن
المقدسة ووديان الجزيرة الدفاقة بالحيوية ؛ لأن صانع التاريخ فيها يدعو
دائماً إلى السلام . . . ويؤيد دعوته بما يدعو إليه الدين القويم . . من مبادئ
كلها تهدف إلى الخير والسلام .

ولكن هل مرت سنوات الحرب . والمملكة العربية السعودية قابعة
راكنة إلى السكينة والدعة ؟

كلا ، فلقد آلى مؤسسها على نفسه أن يجعل فيها مملكة لها كيان مشرف
ولا يتم له ذلك ولا تكون المعجزة ، إلا إذا تمكن من مقومات الحياة ،
وهي الوسائل التي تضمن لهذه المملكة السعادة والرفاهة ، سعادة يعيش في ظلها
المجتمع ، ورفاهة ينعم بها سكان هذه المملكة .



آلة من آلات التنقيب عن الزيت في الصحراء



فرقة مطافئ مكة المكرمة

فأهـى القومات ، وأين يجد وسائلها ؟

إن الصحراء قاحلة مترامية يصفر فيها الريح ، والعقول بدائية لا تكاد تعى شيئاً ، والأجسام عارية هزيلة البنيان ، ومن كل هؤلاء يتكون هذا المجتمع الذى تمنى له عاهله السعادة ، إذا تألب عليه أعداء كل مجتمع كان يرزح تحت كابوس الفوضى . ومن هم أعداء المجتمع غير الفقر والجهل والمرض ؟ الأعداء الذين تصدت لهم فى الجزيرة ، العزيمة الصادقة والنفس المؤمنة المتوكلة على الله ، التى ماتنفك تذكر الله فى الأصائل والبكور والليل والنهار ، وبذكر الله تطمئن القلوب وتجـد من كل ضيق مخرجاً .

أصبحت المملكة العربية السعودية محط أنظار العالم ، وفى ربوعها ومجاليها مهوى أفئدة ومحجة قاصدين . فلا يليق إذن أن تصافح العيون والقلوب بغير مظهر القوة . ولا قوة إلا بالخلاص من هذا الطاعون الثالثى ، والله المستعان .. والعمل خير وسيلة لإدراك الغاية والوصول إلى الهدف .

ولذلك دعا الملك الراحل الخبراء من مشارق الأرض ومغاربها للاستعانة بهم فى وضع الخطوط الرئيسية التى تضمن القضاء على أعداء المجتمع .

فن مصر وسوريا خبراء من رجال التعليم لوضع مناهج على أحدث الطرق ، وتعميم التدريس الابتدائى فى سائر أنحاء المملكة بأسلوب تدرجى يضمن اطراد السير ، وكذلك أطباء ومتخصصون يضعون اللبـنات الأولى للمستشفيات العامة التى تعالج وتقدم العلاج لكل مريض بالمجان .

ومن الغرب خبراء يدرسون طبيعة الأرض ، ويضعون تقاريرهم عن المياه ، والمناطق الزراعية والمناجم والمنايع ؛ ومفاتيح كنوز الأرض .

ولقد كانت النية خالصة والغرض نبيلًا ، والعمل صادقاً لوجهه الكريم

ولذلك أخذ الله بيده في جميع هذه النواحي العمرانية ، فاستحالت تقارير الخبراء إلى اتفاقات عالية ، آتت أكلها ضعفين فازدهرت المناطق الزراعية . وتفتحت الأرض عن كنوزها فسالت نضاراً هنا وهناك .

واعترف العالم العربي والإسلامي بوجود نهضة عالمية مباركة وتحدثت المؤتمرات عن الجهود المبذولة في مرافق الحياة ، ولسنا بصدد سردها أو التعرض لها إجمالاً أو تفصيلاً ؛ ولكننا نريد أن نستعرض في أمانة الجهود الموفقة التي بذلها جلالة الملك سعود أيام كان ولياً للعهد يسير في ركاب موجهه ؛ ويتوجه إلى الخير وفعل الخير بإرشاده .

ولأنه المطلب الأول لهذه النهضة الفتية ، تبنى جلالته مشروع إنشاء جيش نظامي تباهى به المملكة ويضاهى في تنظيمه الجيوش العربية المجاورة . إن العالم بأسره ينظر إلى الصقر نظرة إكبار وإعجاب إذ عرف في شخصه الحكيم المحنك ، والمحارب الذي لا يهزم حتى في ميدان السياسة ، والمحارب الذي نادى بالحق وشهر سيفه في وجه الباطل فأخاف بقوة حجته المحافل ، وبهر الساسة وعرف قبل ذلك ببعد نظره ودهائه ويعرف هو مع هذا أن جيشه المحارب ، لا يقيد بنظام ولكنه لا يعرف الهزيمة . فإذا ما سئل عن الجيش قال : في صدق وإيمان ما معناه إننا نحارب في سبيل الله . وإعلاء كلمة الله ، بقوة الإيمان وإيماننا بأن الحق بجانبنا خير سلاح . .

وهو بجانب هذا يؤمن في قرارة نفسه بضرورة مسيرة ركب الحضارة والأخذ بأسبابها ، ويكرر دائماً قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولذلك أمر بتشكيل جيش نظامي ، ووزارة للدفاع أسندت إلى شبل من



طابور من سلاح المشاة السعودي



طابور من جنود البوليس بمكة المكرمة

من و شما را که در میان شماست

من و شما را که در میان شماست

أشباهه هو المغفور له الأمير منصور ، وتبنى جلالة الملك سعود آنذاك هذا المشروع فوهبه القسط الأوفى من عنايته وسهر على تقوية وحداته ، وإنشاء ثكناته ومعسكراته في كل أنحاء المملكة .

ورصد لإنشائه مبالغ سخية تنفق على شراء الذخائر والمؤن وبعث البعثات إلى مختلف أصقاع المعمورة ؛ وليس هذا وحده بل انتدب البعثات العسكرية لتدريب الجيش على مختلف فنون الحرب ، وزوده بكل المعدات العسكرية حتى أصبح جيشاً له قيمته ومعناه بين الجيوش العربية .

وليس بغريب أن يكون المحارب في الصف الأول الفاتح الغازي راعي الجيش وحاميه ؛ ولذلك أسندت إليه القيادة العليا للجيش الذي يساهم في الدفاع بالتعاون مع الجيوش العربية وتعترف الجامعة العربية بعضويته كجيش له خطره وقيمه .

وإذا سئل سعود القائد الأعلى للجيش عن آماله وأمانيه في جيشه الظافر الذي تزداد وحداته قوة « وتكتيكا » وتسير صفوفه قدماً في ظلال راية التوحيد .

إذا سئل أجاب : إننا لا نعد جيشاً للحرب والعدوان ولكننا نعد للذود عن الحياض والدفاع عن حوزة الوطن والكفاح في سبيل نصره دين الله وإعلاء كلمته لأننا لا نريد علواً في الأرض ولا فساداً ، ولكننا بحول الله نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونرد كيد الكائدين إلى نحورهم .

والبلاد السعودية واسعة الحدود مترامية الأطراف إذ تمتد من الخليج الفارسي شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر غرباً ومن اليمن جنوباً إلى حدود العراق وسوريا شمالاً في مساحة لا تقل عن قرابة نصف مليون من الأميال المربعة وتفصل بين

حاضرتها وباديتها إما جبال شاهقة ، أو صحارى مترامية وتتكون فى مجموعها من مناطق متباعدة الحدود ، ولهذا كان من المحتم أن تلعب المواصلات الحديثة دوراً هاماً فى ربط أجزائها فالمغفور له جلالة الملك الراحل عمم اللاسلكى فى المدن والقرى على السواء ، ليطلع على كل صغيرة وكبيرة فى أطراف مملكته الشاسعة . وقد يستغرب القارئ إذا علم أن الشبكة اللاسلكية فى المملكة العربية السعودية من أقوى الشبكات إذ عليها الاعتماد الأول لمعرفة ماجريات الأحوال فى سائر أنحاء المملكة . . . فحتى الحوادث التافهة يجب أن يبعث بها تقرير لتغرافى للبلاط الملكى .

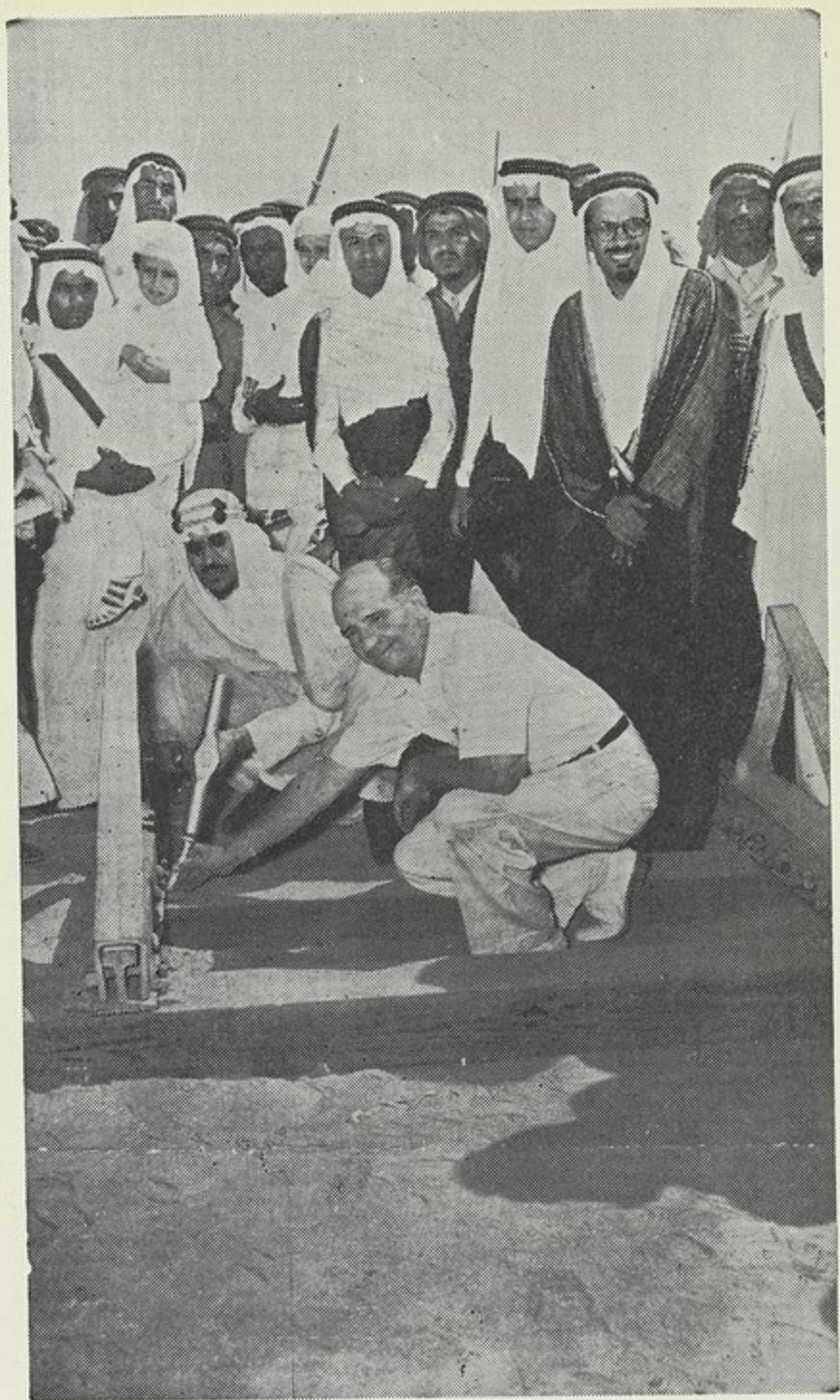
وبلى ذلك فى الأهمية (السيارات) — فهى على رغم وعورة الطرق الصخرية والصحراوية تجوب القفار ذاهبة آية ليل نهار حاملة الركاب والبريد بين المدن السعودية بصورة دائمة .

ولكن هل يمكن الاكتفاء باللاسلكى والسيارات ؟ .

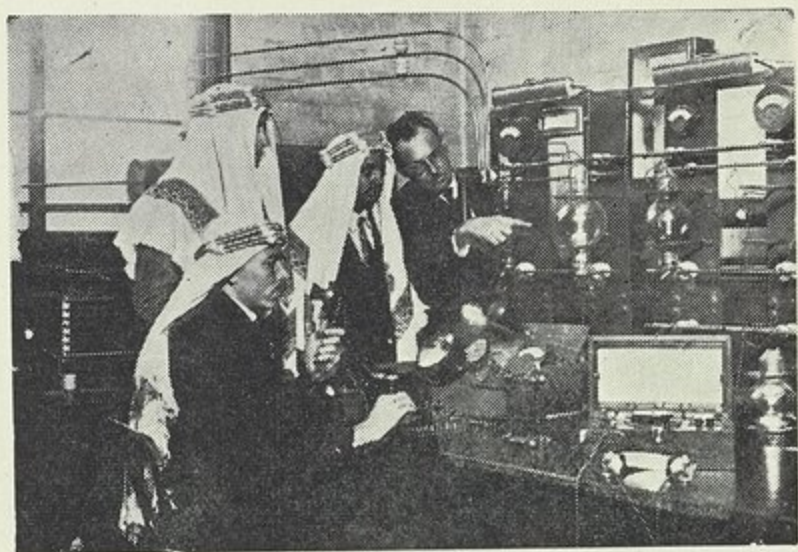
هناك مواصلة يجب أن تربط المدن والحدود بعضها ببعض ؛ تلك هى السكك الحديدية ، وما دام أن الخزينة خزينة الدولة تستطيع القيام بإنشائها دون إسنادها إلى أية شركة أجنبية فما عليها إلا أن تعمل والله المستعان .

وفعلماً صدر أمر المغفور له الملك عبد العزيز بحد الخط بين مقاطعة الظهران ونجد ، ودرس المشروع ونفذ أمر جلالته عضده وساعده جلالة الملك سعود .

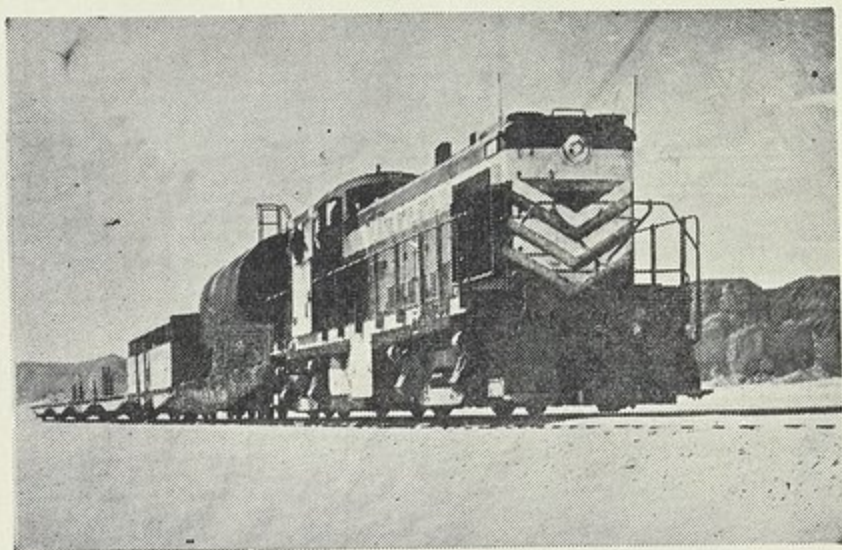
وما هى إلا سنوات قلائل حتى سار الخط عبر الرمال من الدمام إلى الرياض على مسافة سبعمائة كيلو متر تقريباً ، واحتفل بافتتاحه .



الملك سعود في حفل افتتاح الخط الحديدي السعودي



أول بعثة لاسلكية الى بريطانيا



قاطرة حديثة على الخطوط الحديدية السعودية

ولكن سعود فال خير ، ورجل المشاريع كما يسميه الشعب السعودي
أبى إلا أن يصدر أمره يوم الاحتفال بضرورة الاستمرار في مد الخط من
الرياض .. إلى المدينة المنورة .. جدة .. فكة .. ليرتبط الحجاز ونجد بخط
حديدي واحد ..

وهكذا راح منذ أن وضعت الحرب أوزارها وصدرت إرادة جلالة الملك
العظيم بأن أوامر ابننا سعود كأوامرنا تماماً يحتفل بافتتاح المشاريع الخطيرة ، ولم
نتعرض لذكر الجيش والسكك الحديدية إلا كدليل على أنه يريد أن يعمل وزجو
الله له التوفيق .

ومن المشاريع التي تبناها جلالته منذ نشأتها الأولى الإذاعة السعودية ،
فصوت مكة بلد القرآن ، بلد النور خليف بأن يدوى مجلجلاً في أصقاع المعمورة
ناشراً تعاليم الدين الحنيف ومبادئه الكريمة القويمة .

هذا الصوت الذي تخضع له القلوب وتخضع له الأبصار وترهف الأسماع
عند الاستماع إليه ، فالقرآن الكريم يرتل ويردد من مهابطه ومنازله الشريفة
التي ولد فيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعث ودعا إلى البر والتقوى
والتأخي في الله .

ولهذا يحرص جلالته أن يوليها الشيء الكثير من عنايته سيما بعد أن عرف
العالم أجمع عن طريقها ما كان يجهل الكثيرون عن المملكة العربية السعودية
وما وصلت إليها خطواتها التقدمية في سائر النواحي العمرانية والعلمية والصحية
والزراعية والاقتصادية وغيرها .

ولقد تحدثت منها كثيراً عن شؤون المرأة المسلمة .. في ركن المرأة كما
تحدثت عن الجيش السعودي . والدولة الإسلامية وكيف يمكن إنشاؤها عن طريقة

تربية الأسرة تربية دينية ، فأتاحت لى هذه الأحاديث معرفة ما عليه هذه الإذاعة من القوة .

وإني أسأل الله من أعماق أن تحمل فى المستقبل صوت الأمة الإسلامية الموحدة تحت راية الإسلام إن شاء الله .

أما التعليم فكانت خطواته أكثر اطراداً . إذ بدأت بتعميم المدارس الابتدائية فى المدن الكبيرة أولاً ثم توسعت وانتشرت فى أغلب المدن ولا نقول إنها وصلت إلى حد الكفاية .

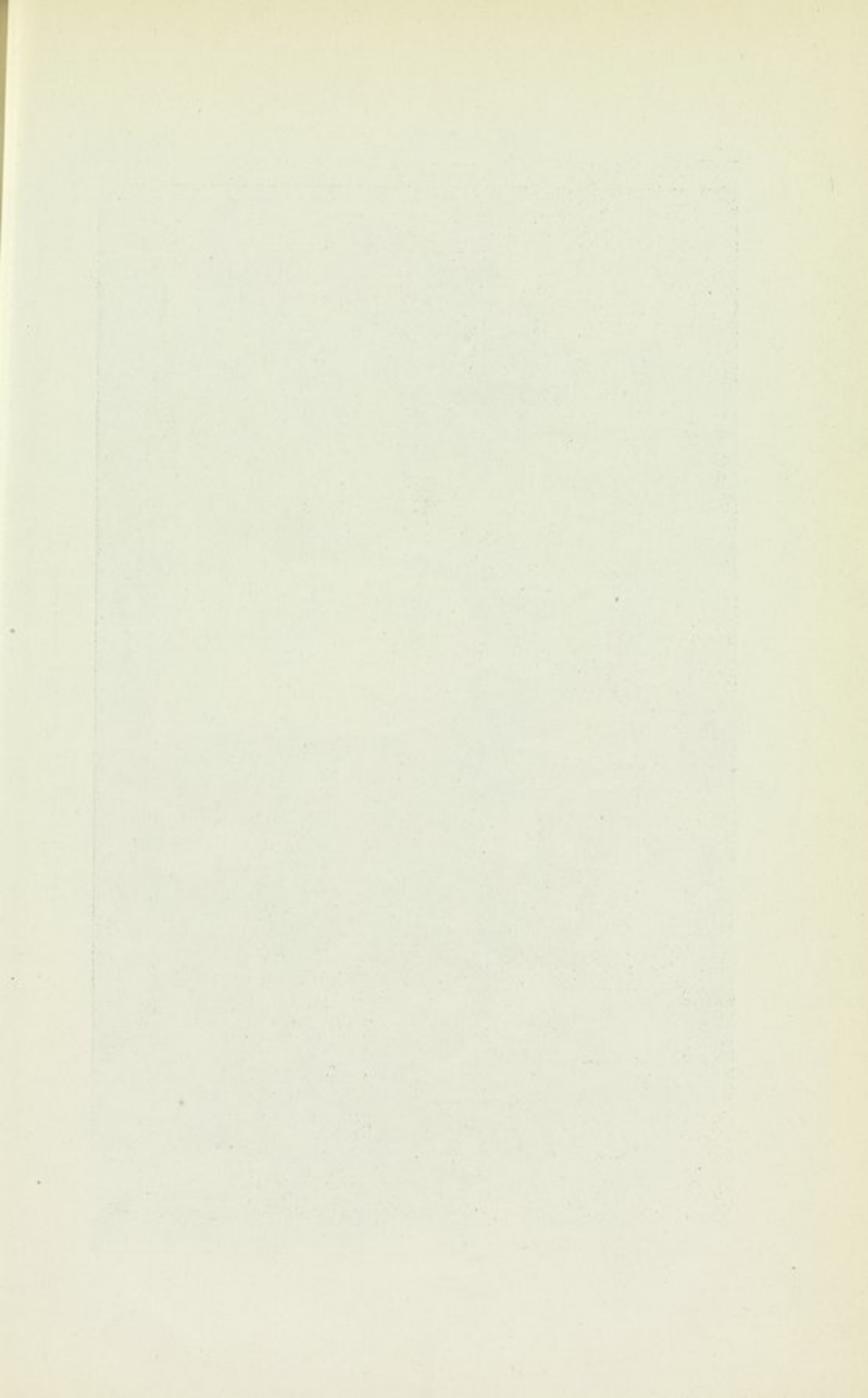
واستعين فى وضع المناهج الدراسية فى البداية بخبراء من خيرة رجال التعليم من مصر وسوريا ، وكان الإقبال ولا يزال من الشعب على التعليم يتزايد يوماً عن يوم حتى أصبحت المدارس الموجودة لا تفي بالحاجة وتتطلب المزيد .

ولا يفهم القارىء مما ذكر أن التعليم المنتشر الآن فى المملكة العربية السعودية : هو الابتدائى فحسب بل تعداه إلى الثانوى ، فالعالى . إذ هناك ثمانى مدارس ثانوية فى (مكة) و (جدة) والمدينة وأبها والأحساء . وفى مكة أيضاً معهد يسمى المعهد السعودى وهو فى درجة الثانوى وكلية للغة العربية وكلية للشريعة ، وبالطائف مدرسة للتوحيد يتلقى فيها الطلبة علوم أصول الدين والتوحيد ؛ وكذلك يوجد بالرياض عدا المدارس الابتدائية المعهد السعودى وكل هذه المعاهد والمدارس الثانوية والعالية تخرج طلاباً متفوقين ممتازين فى دراستهم لعلوم الدين واللغة العربية .

بقى أن نعرف كيف زودت هذه المدارس بالأكفاء الذين يوجهون سياسة التعليم ويعلمون فى المدارس حتى أثمرت الحركة التعليمية وآتت أكلها ضعفين .



أول بعثة علمية إلى مصر من البلاد السعودية



منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها وأخذت الحكومة وعلى رأسها مؤسس الدولة السعودية الراحل الكريم المغفور له عبد العزيز ، أخذت على عاتقها العمل على ما من شأنه رفع مستوى الشعب . وكان التعليم في مقدمة الأشياء التي عملت لها ولذلك انتدبت أساتذة من مصر للتدريس في مدارسها الثانوية . وكان طبيعياً أن يتحد النهجان الدراسيان السعودي والمصري ، لأن الحكومة أول ما وصل التعليم إلى المرحلة الثانوية أنشأت مدرسة بمكة سمّتها مدرسة تحضير البعثات ، الغرض منها بعث متخرجيها إلى الخارج لجامعتي مصر والاسكندرية .

وكان هذا قبل عشر سنوات تقريباً وفعلاً التحقت أفواج متخرجيها بالجامعات التي أخرجت بدورها عدداً لا يستهان به من الشباب الجامعي المثقف الذي أخذ يشق طريقه في مختلف حقول الحياة حتى وصل فريق منه إلى مراتب من الأهمية بمكان فبعضهم يشغل مناصب كبيرة في السلك الدبلوماسي السياسي والوزارات الأخرى كالزراعة والصناعة والمواصلات والمالية .

ونظرة عاجلة على دار البعثات السعودية بمصر ، سواء بالقاهرة أو بالاسكندرية تعطينا الدليل القاطع على أن التعليم يسير بخطى مطمئنة . فقد تخرج حتى الآن ما لا يقل عن مائتي شاب كلهم يحمل شهادة عالية إما في الطب أو الحقوق أو الأدب أو الزراعة أو التجارة ، أو دار العلوم والأزهر الشريف .

وليس التخرج في مصر وجامعاتها فحسب إذ هناك من تخرج في الجامعات الأمريكية في بيروت ومصر ، أو درس دراسة عالية بانجلترا أو فرنسا أو تركيا أو ألمانيا ، وبالأخص الأطباء منهم ؛ وإن يكن غالبيتهم حتى الآن من متخرجي كلية الطب بالقاهرة .

وهناك حقل من حقول التعليم له أهميته وخطره وهو حقل المدارس

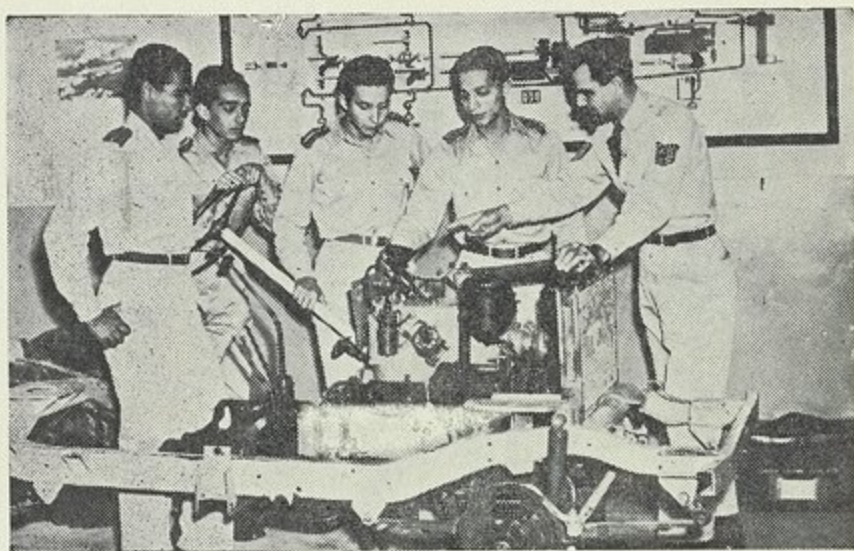
الأهلية بالأخص بمكة والمدينة وجدة فقد كانت هي المنتجة وحدها للشباب المثقف الذى ساهم مساهمة فعالة فى إدارة دفة الحكم وتنظيم الجهاز الحكومى ، ولعب دوراً كبيراً فى توجيه سياسة التعليم واستفاد الجهاز الحكومى من جهوده المشكورة وإخلاصه ولذلك لا نكاد نسأل عن رجل من رجال المملكة حتى نعلم بأنه تخرج فى مدرسة أهلية من هذه المدارس التى فى مقدمتها مدارس الفلاح بمكة وجدة ومدرسة الصولتية بمكة أيضاً ومدرسة دار العلوم بالمدينة .

وهناك مدارس أهلية أخرى ولكنها ليست من الأهمية بمكان تلك التى أشرنا إليها آنفاً . .

ومن الجدير بالذكر أن الأسرة المالكة السعودية كانت أول من شعر بحاجة إلى التعليم ولذلك أسس الراحل الكريم مدرسة بالرياض خاصة بأمراء البيت المالك ، أختيرت لها نخبة من الشباب المستنير المثقف الذى عرف مدى خطورة الرسالة الملقاة على عاتقه فأداها أحسن الأداء وأخلص لرسالته كل الإخلاص فكان التوفيق حليفه إذ تخرج فى هذه المدرسة أغلب أمراء البيت المالك أنجال الملك عبد العزيز وأبناء عمومته وأقاربه ولذلك لا تستغرب إذا وجدنا فى صف هؤلاء طبقة مثقفة تفهم معنى الحياة ومطالب الحياة ، وتحترف الأدب وتقرض الشعر وتدرس دراسة عالية خاصة ، وتتمنى أن ترى الشعب السعودى أحسن حالاً مما هو عليه الآن .

وأما الأمير فيصل نائب جلالة الملك المعظم فى الحجاز فقد تلقى ابنه الأكبر عبد الله دروسه فى مدارس الشعب بمكة ، وعاش بين صفوف الشعب زمناً ليس بالقصير اكتسب الكثيرون منها صداقتهم للأمير الشاب ، وراحوا يستغلون هذه الصداقة فى تحقيق آمالهم وأمانهم .

ولكن الأمير فيصل وفق إلى تأسيس مدرسة بالطائف لأمراء البيت



طلبة يتدربون على أعمال المطارات



يتناولون الطعام بدار أيتام مكة المكرمة

المالك القيمين بالحجاز وهى بلا مرأء مدرسة أنموذجية كما تسمى ، إذ توفر لها كل مايجب أن يتوفر للمدارس الحديثة من ملاعب رياضية ومتنزه وقاعة للمحاضرات ومسرح للتمثيل وما إلى ذلك .

علاوة على أنها مدرسة داخلية . . يقوم بشئون الطلاب فيها مربيات ممتازات ولم تقتصر على أمراء البيت المالك ، بل عليهم وعلى أبناء الحاشية والخاصة لها ، فكانت مدرسة رغم أنها ارستقراطية مطبوعة بطابع ديمقراطى محب فالأمير وتابعه يعاملان فيها على السواء .

ولكن سمودا العظيم الذى يمثل أباه فى الحكم وتصريف الأمور راح يندق على مدارس الأمراء جميعها ويوليها القسط الأكبر من عنايته ويتفقددها ويسهر على تحسين حالها لتأكده من خطورة إهمال الأمراء وعدم تنشئتهم التنشئة الصالحة . ولذلك احتضن هذه المدارس وتبناها وأغدق عليها العطاء ليحارب الجهل فى الصفوف الأولى من الشعب .

وعنى قبل هذا بتوجيه أولاده وتخصيص مربين ومربيات لهم وأخيراً افتتح مدرسة خاصة بهم فى نفس داره بالرياض كان هو بنفسه المرشد والقائم على توجيه سياستها التعليمية حتى أصبح أبناؤه فى طليعة الأمراء الذين فى مثل سنهم ثقافة وعلماً .

وهناك زاوية أخرى لا يمكن إغفالها دون الإشارة إليها ، تلك هى مدارس دار الأيتام أو على الأصح الملاجئ بمكة ، والمدينة ، والرياض ، لأنها تلعب دوراً هاماً فى الحركة التعليمية فهى على الرغم من أنها ابتدائية ولكنها أخرجت شباباً صالحاً ، التحق بمدارس الشرطة واللاسكى ، والعسكرية ثم تخرج من هذه المدارس وأخذ نصيبه فى الحياة ، فكان من أولئك الأيتام

الذين وجدوا السبيل إلى نور العلم نخبه من خيرة الضباط البواسل ، سواء في وزارة الدفاع أو مديرية الأمن العام . وكان منهم أيضاً الشباب النير الذي ملأ أغلب المراكز في الشبكة اللاسلكية ، ولم يقتصر مخرجو الملاجئ الأيتام على هذه الحقول بل أخذوا بنصيبهم في المراكز الإدارية الحساسة في مختلف حقول الجهاز الحكومي والنواحي العامة في الحياة فمنهم رؤساء مكاتب ، ومنهم أصحاب محال تجارية ومنهم مقاولون ورجال أعمال .

وأما أولئك الذين واصلوا السير منهم في مراحل الدراسة ، فهم الآن يتخطون المرحلة الأخيرة الجامعية بتفوق يدعو إلى الاعتباط ، ولا بدع فلهم القدوة الصالحة والمثل الذي يجب أن يقتدى . . اليتيم الأول النبي الأُمي . الذي نسير على هديه وترسم خطاه .

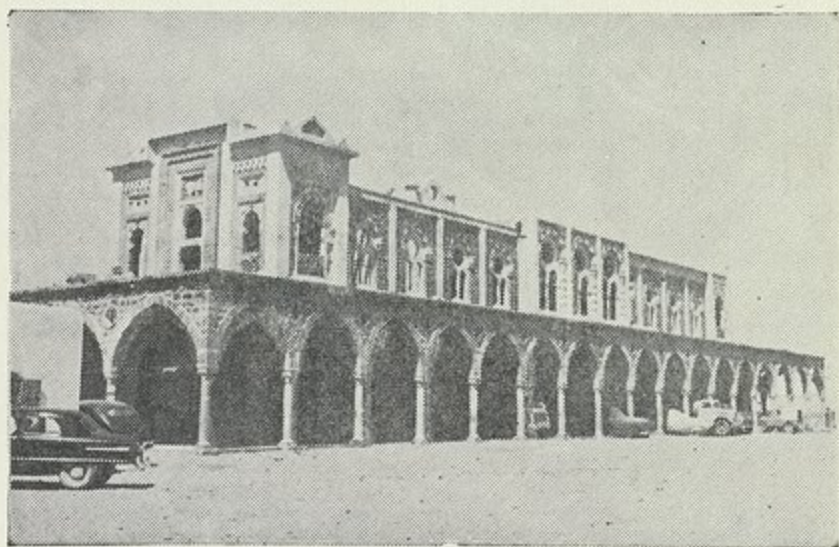
وهناك مدرسة في الصحراء تلعب دوراً له أهميته فقد تخصص مخرجوها للابتعاث إلى محطة السكك الحديدية حيث يتلقون فنون إدارة الخطوط الحديدية الأولية ثم يبعثون إلى أمريكا . وفعلاً بعث الفوج الأول منذ سنوات وعاد بعد أن اطلع على طرق تسيير الخطوط هناك وشغل في مصلحة القطارات مراكز حساسة .

هذا عدا المدارس العسكرية التي تنفق عليها وزارة الدفاع . وكل هذه المدارس تدير في رعاية جلالة الملك سعود الذي ساهم مساهمة فعلية في إيجادها وتمضيدها حتى برزت إلى حيز الظهور وكونت الخطوة الأولى التي سيتبناها خطوات وخطوات .

وإذا عرفنا أن مجموع المبعوثين إلى مصر وحدها لتلقى العلوم يتجاوز الألف عدا المبعوثين إلى بيروت وأمريكا لأدركنا أن خطوتها تسير قدماً إلى الأمام .



جلالة الملك سعود في زيارة الروضة المباركة



محطة سكة حديد المدينة المنورة

وإذا عرف الداء سهل العلاج ، ولا يعرف الداء إلا إذا وجد الوعي وأحس المريض بما يعانیه وما ينخر في عظامه ويعبث في جسمه من داء فقد كانت الحاضرة في البلاد السعودية تتطبّب بالعقاقير ، والبادية تعالج بالسكي كلّ الأمراض ولا شيء غير هذا . . .

اللهم إلا مستشفى لم يكن في وجوده أكثر من مستوصف عادي خال حتى من العلاج .

فما أن توحدت المملكة السعودية التي تمثل أجزاء قلب الجزيرة حتى استعان جلالة الملك الراحل ، بأطباء سوريين لعبوا دوراً كبيراً في وضع الخطوط الأولى للمستشفيات السعودية والمستوصفات في بعض عواصم المملكة .

وكان طبيعياً أن يستيقظ الوعي في مختلف طبقات الشعب نتيجة لازدحام المدن بالمهاجرين إلى المملكة من سائر البلدان العربية المجاورة الذين استوطنوها طلباً للعمل والقوت . . . وتمشياً مع سنة التطور والتقدم .

فقد بدأ الجميع يحسون ويدركون أن العقل الصحيح في الجسم الصحيح ، والصحة تاج على رؤس الأصحاء ، والحياة المعاصرة التي أخذوا سبيلهم المستقيم لاقتحامها والخوض في غمارها بدأت تغزوهم بالعلم الحديث وأساليبه القوية الأخاذة ، فالصحف والمجلات أو المؤلفات الحديثة كلها تحمل في تضاعيفها الإرشادات الصحية والبحوث المستفيضة عن الأمراض ومنشئها وطرق الوقاية منها ومكافحتها ، ومحطات الراديو من كل موجة تدعو إلى مقاومة الداء ومكافحة المرض ، وتوضح كيف تغزو جرائمه الجسم وتفتك به .

وكانت النظرة إلى المملكة العربية لا سيما الجانب الذي تقع فيه الأماكن المقدسة من العالم أجمع نظرة مشوبة بشيء من الاشمئزاز . باعتبارها في نظره

منطقة موبوءة يجب أن يضيق الخناق على القاصد إليها والخارج منها ، بل يجب أن تحاط بالمحاجر الصحية العنيفة في أساليبها ، ولكنه الشعب الذى بدأ يعى ويفهم أساليب الخلاص من المرض . . . ولذلك يسافر الموسرون منهم للمعالجة والتداوى خارج القطر . ويتكبد رقيقو الحال الأمرين ويعانون ما يعانون فى سبيل الاغتراب للخلاص من العلة . .

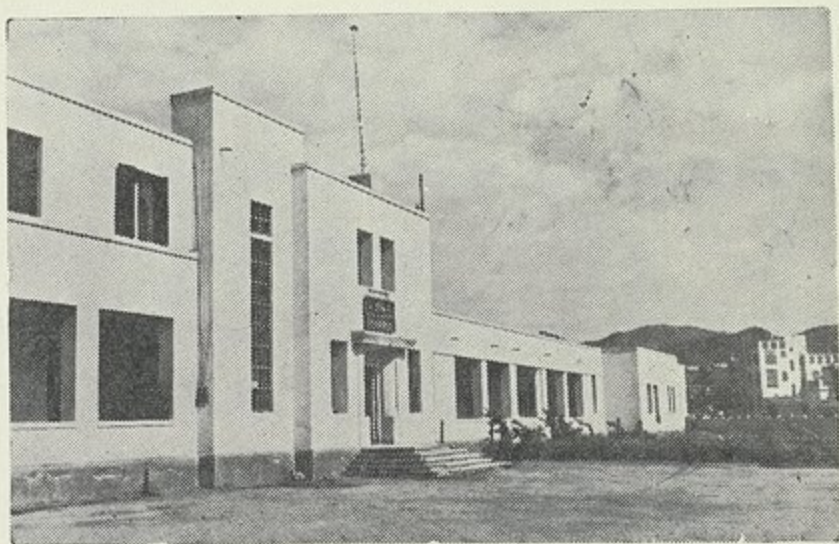
ولكن الحكومة التى أخذت على عاتقها السهر على راحة الشعب هل فعلت شيئاً فى سبيل تلافى ذلك ومكافحة المرض كما يجب أن يكافح ؟

لقد أخذت تحسن حالة المستشفيات تدريجاً وتمونها بالأسرة وأحدث أنواع العلاج الذى تقدمه بالمجان حتى عممت مستشفيات الحكومة ومستوصفاتها فى سائر مدن المملكة العربية ولكنها تتطلب المزيد تمشياً مع الوعى الذى يزداد تيقظاً وانتباهاً . . . ولذلك أسندت وزارة الصحة إلى شاب من شباب الأسرة المالكة هو نجل الأمير فيصل وحفيد الراحل الأمير عبد الله الفيصل ذلك الشاب الذى ما كاد يتلقى الأمر بإسناد هذه الوزارة إليه حتى أثبت أنه الفاهم لدى المسئولية الملقاة على عاتقه فماذا عمل ؟

لقد عرض على القائم بتوجيه المشروعات ورجلها الملك سعود ، ولى العهد آنذاك : مشروع وزارته الجديدة وكان مشروعاً ضخماً يتطلب رصيذاً لا يستهان به ، مشروعاً واسع النطاق يشتمل على إنشاء المستشفيات الجديدة هنا وهناك ، لمعالجة مختلف الأمراض ، للعيون والصدر والولادة والأمراض السرية والوبائية والباطنية وما إلى ذلك ، ويشتمل على انتداب مئات ومئات من الأطباء لتوزيعهم على مناطق المملكة ، وخبراء يستعان بهم فى توجيه سياسة هذه الوزارة توجيهاً يضمن لخطواتها اطراد السير ، ولحركاتها الازدهار ولعملها التوفيق .



الملك سعود الأول يفتتح مستشفى المدينة المنورة



مستشفى الولادة بمكة المكرمة

وليس هذا وحده بل عليها أن تساهم في إقامة المستشفيات الأهلية لمن أراد من الشركات . . . والأطباء ؛ وتفتح صدرها للهيئات الطبية العالمية وبعوثها لتقوم بوضع قراراتها بعد دراسة وضعها الحالى من الناحية الصحية .

فكانت خطوات هذه الوزارة عملية وسرعان ما غيرت الوضع وأكسبت المملكة العربية ثقة المؤتمرات العالمية حتى نالت عضويتها ، كعضو له جهاز صحى مشرف وأخذ جلالة الملك سعود على عاتقه الاهتمام بهذه الناحية حتى وصل بها إلى ما وصلت إليه من وضع يدعو إلى التفاؤل .

إذ وجدت المستشفيات الأهلية التى تلعب دوراً هاماً فى هذه الناحية ، ومستشفيات الولادة والأمراض النسائية ومستشفى الرمد ومستشفى الأمراض الصدرية والمستشفيات العامة وهيئات مكافحة الأمراض السرية . وتضاعف عدد الأطباء المتدربين للعمل من مصر وسوريا والباكستان ، ولا يزال العدد يتزايد يوماً بعد يوم .

وليس هذا وحده بل بعثت عدة بعوث إلى مختلف الأقطار العربية المجاورة والغرب لدراسة طرق مكافحة الأمراض والوقاية . ولأن تثبت للعالم أجمع أن أهدافها نبيلة فى سبيل القضاء على المرض من جهة ، والاحتفاظ لنفسها بسمعة مشرفة ، قامت أخيراً بعمل محجر صحى بجدة يتسع لأكثر من ثمانى آلاف نسمة استعداداً للطوارئ فى حالة ظهور مرض وبائى فى صفوف الحجاج مستقبلاً لا قدر الله وهو فى الواقع من أبرز وأكبر المشروعات الصحية التى قامت حتى الآن .

هذا عدا المستشفى النموذجى التى وضعت تصميماتها وتم بناؤها بمدينة الطائف ولم تفتح أبوابها لاستقبال المرضى حتى الآن . لأنها إذا تمت فستكون

خطوة انتقال بالنسبة لسكان المملكة لأن الطائف كما يسمونها لبنان المملكة العربية السعودية لجودة مناخها . . .

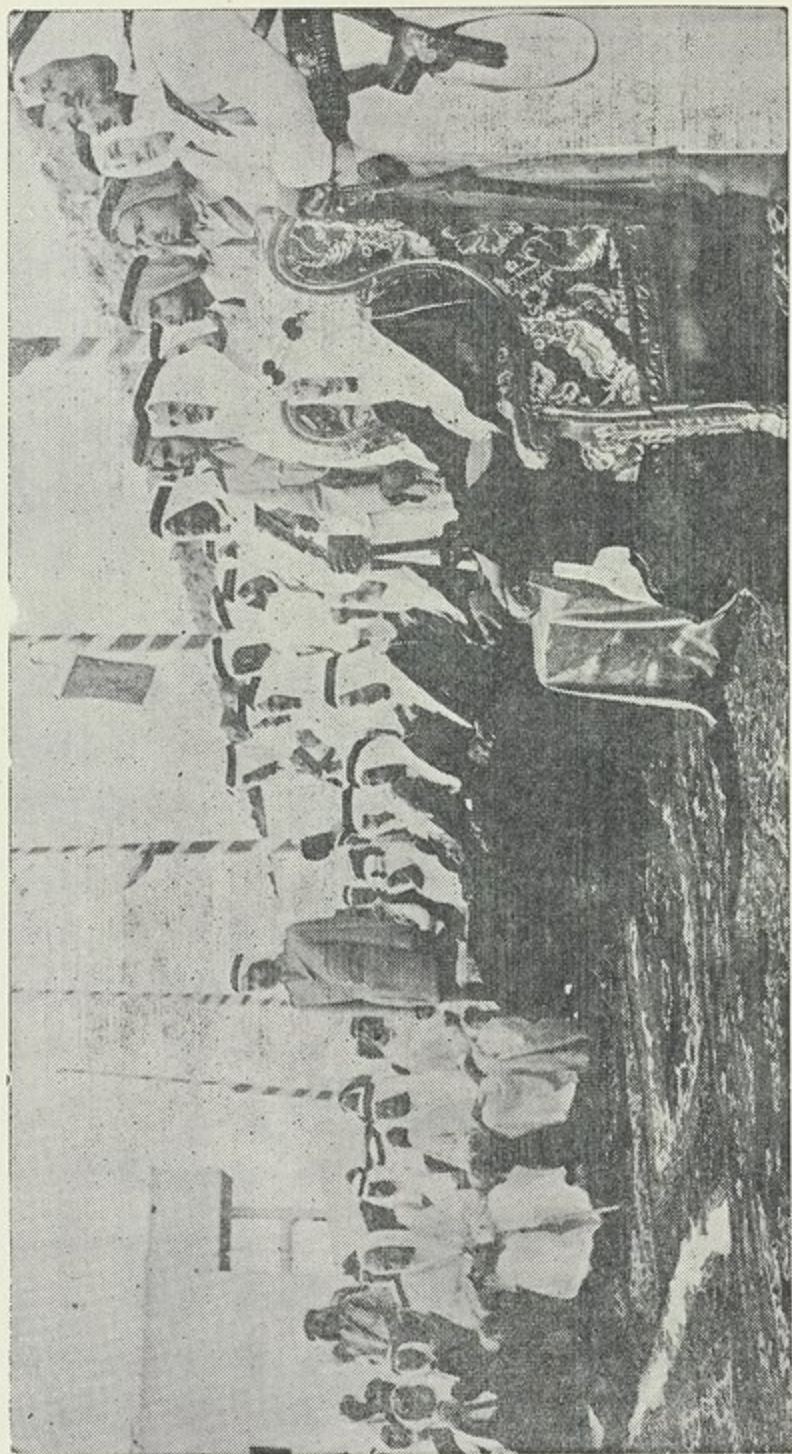
فالانتقال إليها وحده يعتبره الناس هناك استشفاء فكيف بمستشفى تتوافر فيها كل المستلزمات . . .

وكل هذه المشروعات يعود الفضل فيها إلى الله أولاً ، ثم إلى الجهود الجبارة التي يبذلها الملك سعود منذ ولايته العهد بتوجيهات والده الباني والمسيد لهذه النهضة الفتية .

ولقد قامت الحكومة السعودية على أساس الدعوة لله .

ولذلك شيدت المساجد وعمرتها لذكر الله في كل مكان . فلا يلفت نظرك في مكة أو المدينة أو جدة أو أى بلد من بلدان المملكة العربية السعودية إلا كثرة المساجد المشيدة على أحدث طراز . . .

وعرف الناس الطريق إلى النور وأساليب الحياة الحديثة فبحثوا عن الأضواء وقامت لذلك شركات النور في كل مكان تطالب بامتياز إضاءة المدن فصاحفها جلالته مقدماً لها المعاونات الكريمة والمساعدات القيمة التي تضمن لها الربح وتحقق الغاية المرجوة للذين لسوا حاجتهم إلى التيار الكهربائى الذى يقدم لهم في منازلهم ومكاتبهم ومتاجرهم ومعاملهم خير المنافع ، فقامت الإضاءة على أحدث طراز في أغلب مدن المملكة على أيدي شركات أهلية ، في مكة ، وجدة والمدينة والطائف والرياض والخبر والدمام وغيرها . ولا تزال طلبات الامتياز تقدم من مختلف الجهات ويوليها جلالته العناية الفائقة والرعاية الكريمة . . .



الملك سعود الأول في حفل افتتاح مشروع انارة مكة المكرمة والحرم المقدس

في سبيل الحج

لقد تغيرت أساليب الحياة ، وتطورت وسائل العيش فأصبحت للحاج القاصد لأداء الفريضة مطالب ضرورية لا يمكنه الاستغناء عنها بحال من الأحوال .

كما أن وفود القاصدين إلى الأماكن المقدسة لأداء الفريضة لم يعودوا يطبقون الاستغناء عن الوسائل التي تضمن لهم الراحة مدة إقامتهم مهما طالت أو قصرت ومن ثم راحت الصحف الإسلامية تناقش الحكومة السعودية في كل نقص تلمسه في مظاهر الحياة القائمة ، وتنقدها نقداً لازعاً مريراً فكانت تستجيب إلى دعوة الإصلاح إذا لمست أن هذه الدعوة خالصة لوجه الحق .

وكانت ولا تزال العناية بشئون الحجاج من أهم المسؤوليات الملقاة على كاهلها إزاء حجاج البيت الحرام . . فما عليها إلا أن تعمل وتكسر كل جهودها للاضطلاع بهذه المسؤوليات .

والحج في حد ذاته مظهر من المظاهر التي تبين مدى إمكانياتها وقدرتها على ما حملها الله من أمانة ، وهل أمانة أغلى وأثمن من حماية الأماكن الطاهرة المقدسة ورعايتها ؟ فعلينا مهما فعلت ومهما أدت من خدمات أن تضاعف الجهد لإبراز الحج في صورة تليق وتتفق بما له من قيمة معنوية لدى العالم الإسلامي أجمع . وصحيح أن الأمن في المملكة العربية السعودية مضرب المثل ، وصحيح أن الحاج يستطيع أن يقطع الصحارى المترامية بين مكة والمدينة ويحج مختلف الطرق المؤدية إلى المشاعر المقدسة دون أن يخاف على نفسه من عدوان معتدي ، أو قاطع طريق .

ولكن الأمن ليس كل شيء ، فهو واحد وهناك عشرات المطالب
في مقدمتها السكن المريح ، فهل يجده الحاج وهل يتوافر له ؟ . .

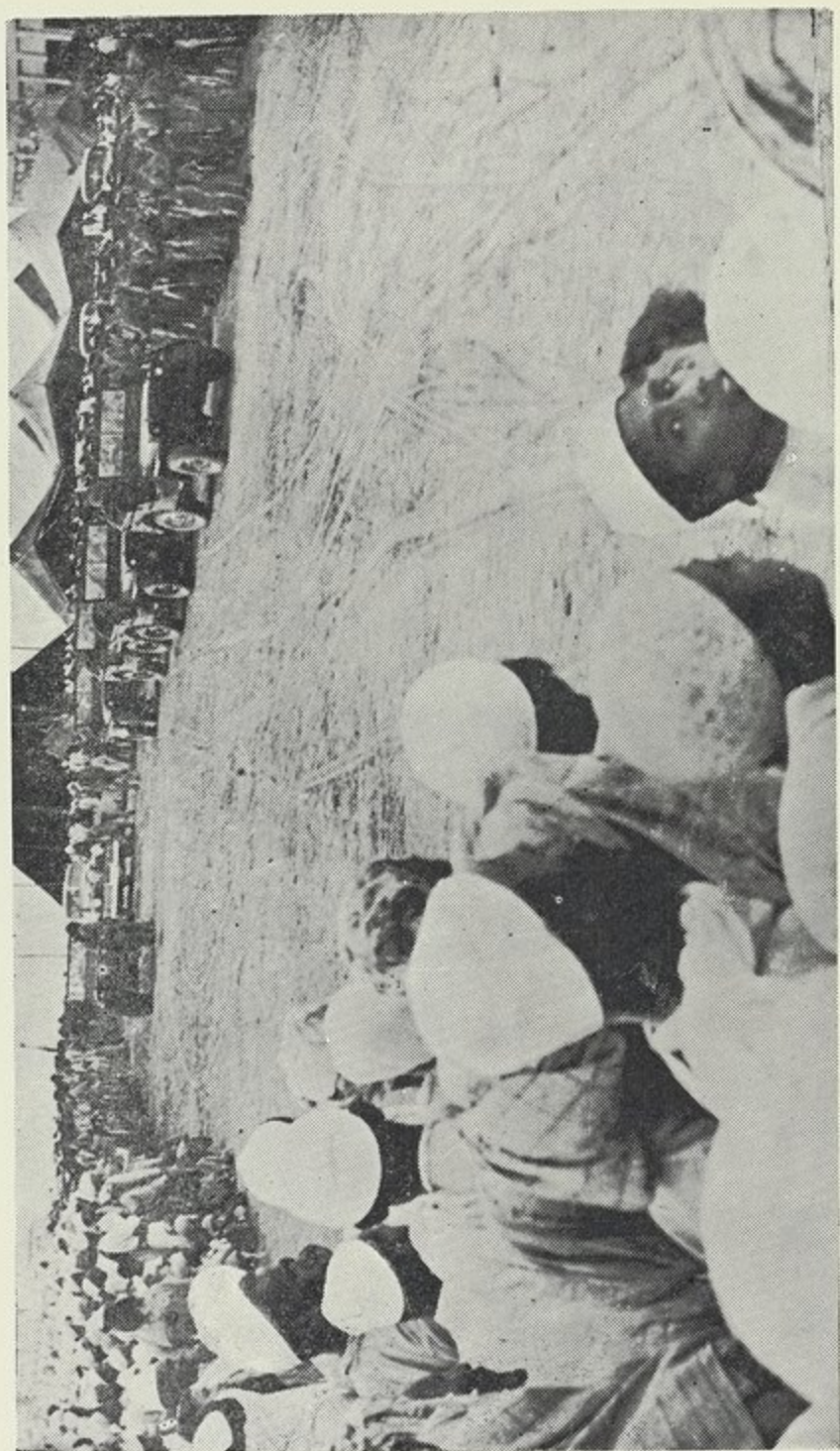
إن في البلاد نهضة عمرانية أخذت الحكومة تعمل على رعايتها والسهر
لانتعاشها بشكل يدعو إلى التفاؤل ؛ مما جعلها تعفى مستلزمات البناء من الرسوم
والضرائب وتصرح للشركات والأفراد بإنشاء منازل وفنادق لا تزال ابتدائية
في مظهرها ولم تنتشر إلى الحد الذى يفى بالغرض المطلوب وإن تكن قد سدت
بعض الفراغ .

والمدن السعودية عامة . وما يقع منها في طريق الحاج خاصة مكة والمدينة
وجدة تهمل من مياه الآبار والعيون القديمة التى لا تسد حاجة السكان وخدمهم فهم
يعانون في الموسم الأمرين عندما تزدحم هذه المدن وما جاورها بضيواف
بيت الله .

ففي مكة مثلاً عين زبيدة التى تمتد من مسافة بعيدة عنها تلك العين التاريخية
التي أجرتها إلى مكة السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد ، وفي المدينة عين الزرقاء
التي لا تسد الحاجة ولا تفى بالغرض .

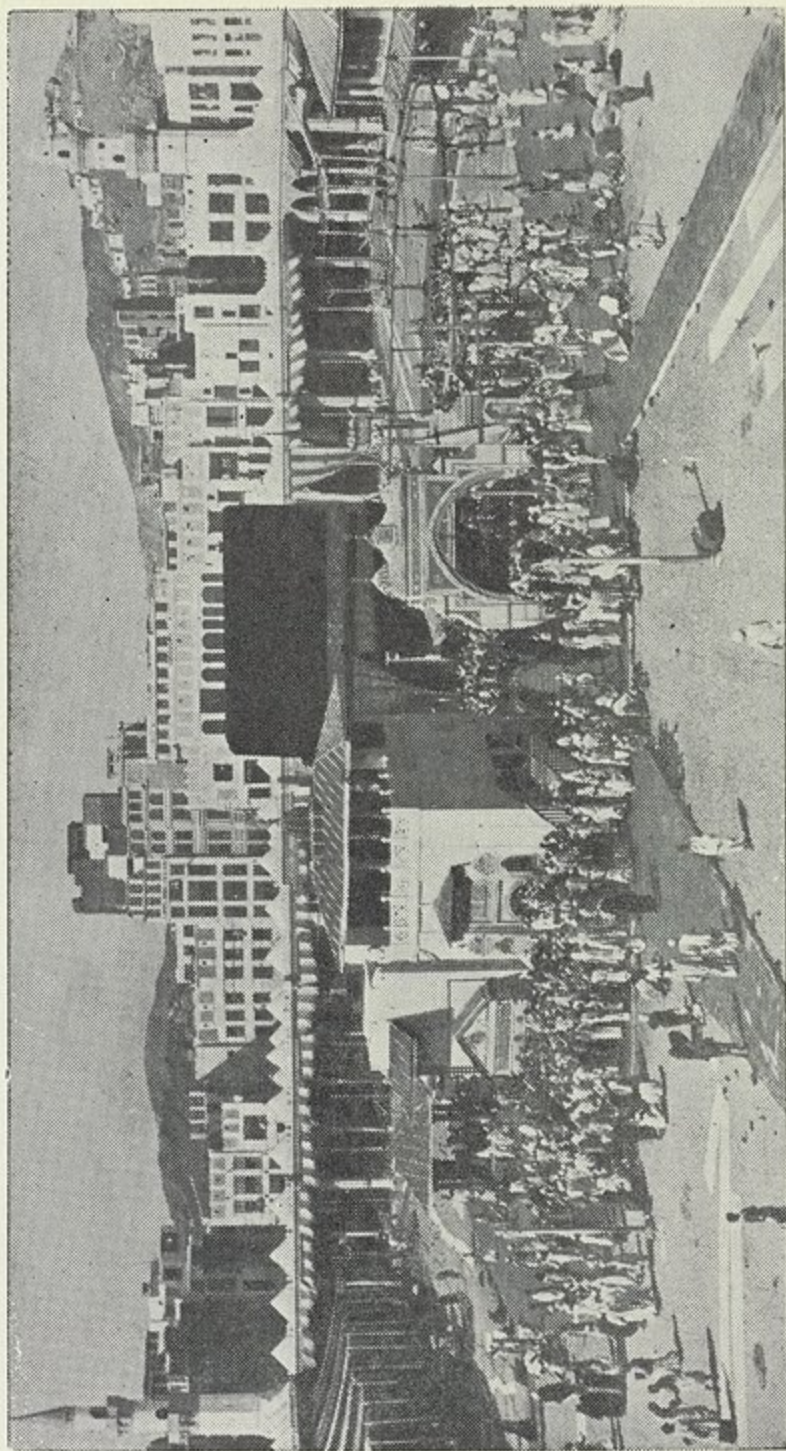
وجدة التى تمثل الساحل الرئيسى الذى ترسو عليه سائر بواخر الحجاج تعيش
على ماء المطر والسيول وماء الآبار . وكذلك النور وطريقة الإنارة في المنازل بدائية
عقيمة فهى في حاجة إلى تحسين يتفق وطرق الإضاءة الحديثة .

كل هذه أشياء يجب أن تولى حقها من العناية ويبدل في سبيل تحسين
أساليبها قدر الطاقة لضمان الجو المريح الذى يمكن الحجاج من أداء النسك
في هدوء واطمئنان . وكذلك الطرق تحتاج إلى تعبيد وإصلاح يساعد على



الملك سعود في حفل افتتاح العين العزمية

الحرم المكي الشريف



التنقلات السريعة بين المناسك والحرمين الشريفين ، فماذا فعلت الحكومة السعودية وماذا حققت من مشاريع ؟ .

لقد كان من أبرز المشاريع التي ظهرت لحيز الوجود تبديد الطريق بين المدينة وجدة ، وبين مكة وعرفات بحيث أصبحت منطقة الحج جميعها معبدة عدا الطريق بين مكة والمدينة فهو في طريقه إلى التمام والكمال .

كما وزعت عرفات إلى مناطق . . جعلت في كل منطقة منها مواسير مياه كافية تتدفق إليها هذه المياه من عدة خزانات أقيمت خاصة لهذا الغرض في عرفات والمزدلفة ومنى . .

وأضافت الحكومة على عين زبيدة عينين هما عين الجديدة وعين الزعفران . كونت من جميعها عيناً واحدة تتدفق مياهها إلى مكة المكرمة كما ضاعفت عدد (البازانات) المنتشرة في الحواري والمحلات ووصلت بمواسير المياه إلى النواحي البعيدة والضواحي المختلفة . وسفوح الجبال ، ولكن هذا جميعه لا يكفي إذا لم تمتد المواسير إلى داخل البيوت ، وهذا غير ممكن على ما أعتقد إذا لم تتضاعف كمية المياه المتدفقة إلى مكة وترداد عما هي عليه الآن ، وإن تكن الحالة قد تحسنت تحسناً ملموساً يدعو إلى القبضة .

ولكن جدة كانت في الواقع أكثر نصيباً من أية مدينة سعودية أخرى . إذ كان مشروع عين العزيزية التي امتدت مواسيرها حاملة إليها الماء العذب من مسافة اثنين وتسعين كيلو متراً من وادي فاطمة ، كان هذا المشروع من أبرز المشاريع التي وقفت الحكومة السعودية للقيام بها .

وهذه العين عبارة عن مجموعة عيون تسقى أراضي زراعية بوادي فاطمة للملاك

من الأشراف اتفقت معهم الحكومة على سحب الماء منها إلى جده ، على نفقة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، وفعلًا تم ذلك . وترأس جلالة الملك سعود حفلة افتتاح العين ووصول الماء إلى جده ، ودبت الحياة في هذه المدينة الساحلية وازدهرت حتى أصبحت في موقعها مدينة أتموزجية بالنسبة لبلدان المملكة العربية السعودية .

وأعقب هذا المشروع مشروع الميناء الجديد التي تم انشاؤها بجدة أيضاً . إذ كانت البواخر في الماضي لا تستطيع الرسو على ساحل البحر ، فكان الحجاج يلقون مشقة عظيمة عند هبوطهم من البواخر . وصحبه مشروع مطار جدة الحديث الذي يعد في مقدمة مطارات البلدان العربية ، إذ زود بكل المستلزمات والتجهيزات وامتدت خطوط جوية إلى سائر عواصم البلدان العربية والإسلامية كتركيا وباكستان وإيران وأفغانستان .

وبتوافر الماء في جدة تطورت أساليب الحياة فيها فازدحت بالقاطنين فيها والنازحين إليها من مختلف أنحاء العالم طلباً للقوت والعمل ، مما أدى إلى نشاط الحركة العمرانية والصناعية فيها . . فقامت نتيجة لذلك عدة مشروعات اقتصادية أهلية افتتحها حضرة صاحب الجلالة الملك سعود وكان لهذه المشروعات جميعها أثر كبير في ازدهار الناحية الاقتصادية .

وأخذت هذه المشاريع تتزايد يوماً فيوماً حتى صارت مدينة جدة تزخر بالنشاط الاقتصادي مما أثر تأثيراً واضحاً في هذه المملكة . .

ففي موسم الحج سنة ١٣٧١ تخلف الملك الراحل عن أداء الفريضة وأصاب عنه ابنه سعوداً فما كادت تهبط به الطائرة في ميناء جده الجوي حتى أخذ يتفقد أعمال الدوائر ذات الاختصاص والتي لها علاقة بتنظيم شئون الحج ، وطلب أن



الملك سعود يفتتح أحد المشاريع الإصلاحية وبجواره أخوه سمو
الأمير محمد بن عبد العزيز



حفل عام لاستقبال الملك سعود الأول بالمدينة المنورة

يتقدموا إليه بمقترحاتهم وإرشاداتهم التي يرون أن من شأنها تحسين الوضع .
فراح كل منهم يتقدم بمقترحاته وملاحظاته في صراحة ، ولكي تصل إلى يديه
شكاوى الحجاج ويدرسها بنفسه كلف الجهات المختصة بوضع صناديق على
أبواب المسجد الحرام ، ليضع فيها كل حاج مقترحاته وملاحظاته ولا يفتحها
إلا مندوبون من قبله .

وبذلك توصل إلى معرفة الشيء الكثير الذي يجب أن يكون .

ولقد كان من أبرز المشاريع التي تنم عن محاولة الإصلاح بصورة جدية
مشروع مدينة الحجاج ، فقد كان خطوة إيجابية لس الحجيج فوائدها وإن لم تصل
إلى حد الكمال ، فهي تتسع لأكثر من ثمانية آلاف حاج تستقبلهم هذه المدينة
فور هبوطهم من البواخر ويمكثون بها حتى يرحلوا إلى البيت العتيق ، وعندما
ما يفرغون من النسك وزيارة مسجد الرسول الأعظم . . يعودون إليها في انتظار
البواخر ، وهي على حالتها الراهنة تحتاج إلى كثير من التحسين إلا أننا لاننكر
أنها أدت خدمات لا يستهان بها للحجاج بيت الله الحرام .

وكذلك قام المشرف على إدارة عين العزيزية التي تسقى جدة بأعمال مجيدة
كان من بينها إنشاء هذه المدينة .

ولا يستغرت القارئ العزيز إذ أسرد هذه المعلومات عن المشروعات
والإصلاحات فقد اطلمت عليها وفحصتها بنفسى أثناء إقامتى بالحجاز وكنت
أدرس — عن كثب — مجرى الحوادث في أعز بلاد الله على .

لقد زرت الأماكن المقدسة ست مرات بقصد الحج ، وكنت أقيم كل مرة
من هذا المرات ما لا يقل عن ثلاثة أشهر أزور خلالها المنشآت والمشروعات
القائمة .

وكان أروع ما لفت نظري في موسم عام ١٣٧١ الحفلات الشعبية التي كانت تقام احتفاءً بجلالة الملك سعود ، فمن حفلة بالمطار إلى حفلة بالميناء إلى غيرها في مختلف مرافق الحياة .

وما كاد ينتهي موسم ذلك العام حتى صدرت أوامر بضرورة إنفاذ عدة مشاريع من طبيعتها تسهيل الحج وتوفير راحة الحجاج سواء في مكة أو جدة أو المدينة أو المساعر المقدسة كعرفات ومنى والمزدلفة استهلت بتوسعة منى وهدم بعض بيوتها وتعميض أهلها تعويضات سخية ؛ ولقد راحت الصحف المحلية والإذاعة السعودية توالى نشر الأوامر التي صدرت من قبله لأهميتها الكبيرة قبل حلول موسم سنة ١٣٧٢ هـ .

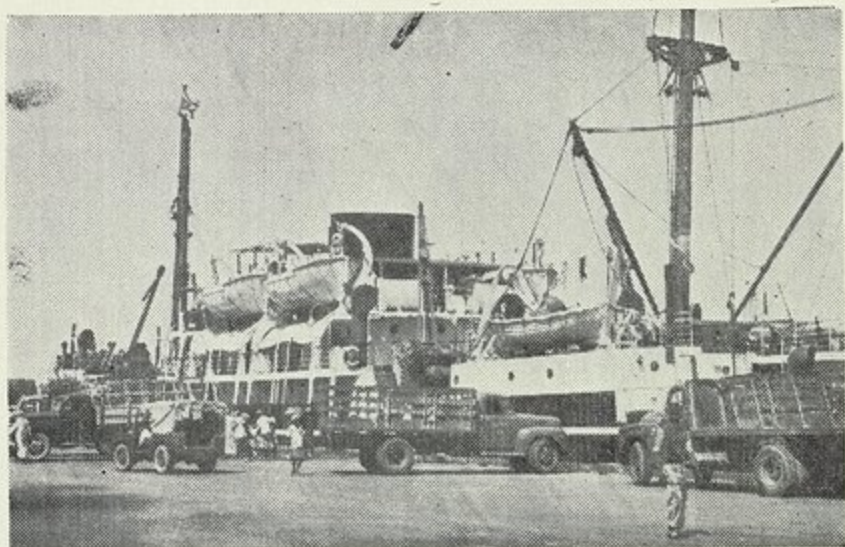
وكان في مقدمة هذه المشاريع ، مشروع مدينة الحجاج بمنى ، تلك المدينة التي أنشئت خاصة لإيواء الذين يضلون السبيل أثناء رمي الجمار أو مغادرتهم للمخيمات ، وعدد كبير من المظلات التي تتسع الواحدة منها لأكثر من ألف حاج بعرفات ؟ هذا عدا مستشفى منى التي أنشئت لمكافحة ضربات الشمس التي يتعرض لها حجاج بيت الله الحرام .

ومنذ سنوات تصدع باب الكعبة ، فصدر أمر جلالة الملك الراحل بتغليفه وتوشيته بالذهب الخالص على نفقته ، وقام الملك سعود بتركيته ورأس الحفل الذي أقيم في هذه المناسبة الكريمة ، ونجمل فيما يلي المشاريع التي تعهدها برعايته وهي تعبر تعبيراً صادقاً عن مدى اهتمامه بشئون الحج والحجاج ، وهي مستقاة من الأوامر التي أصدرها الملك سعود .

١ — المسجد الحرام

— إضاءة المسجد الحرام وتهويته .

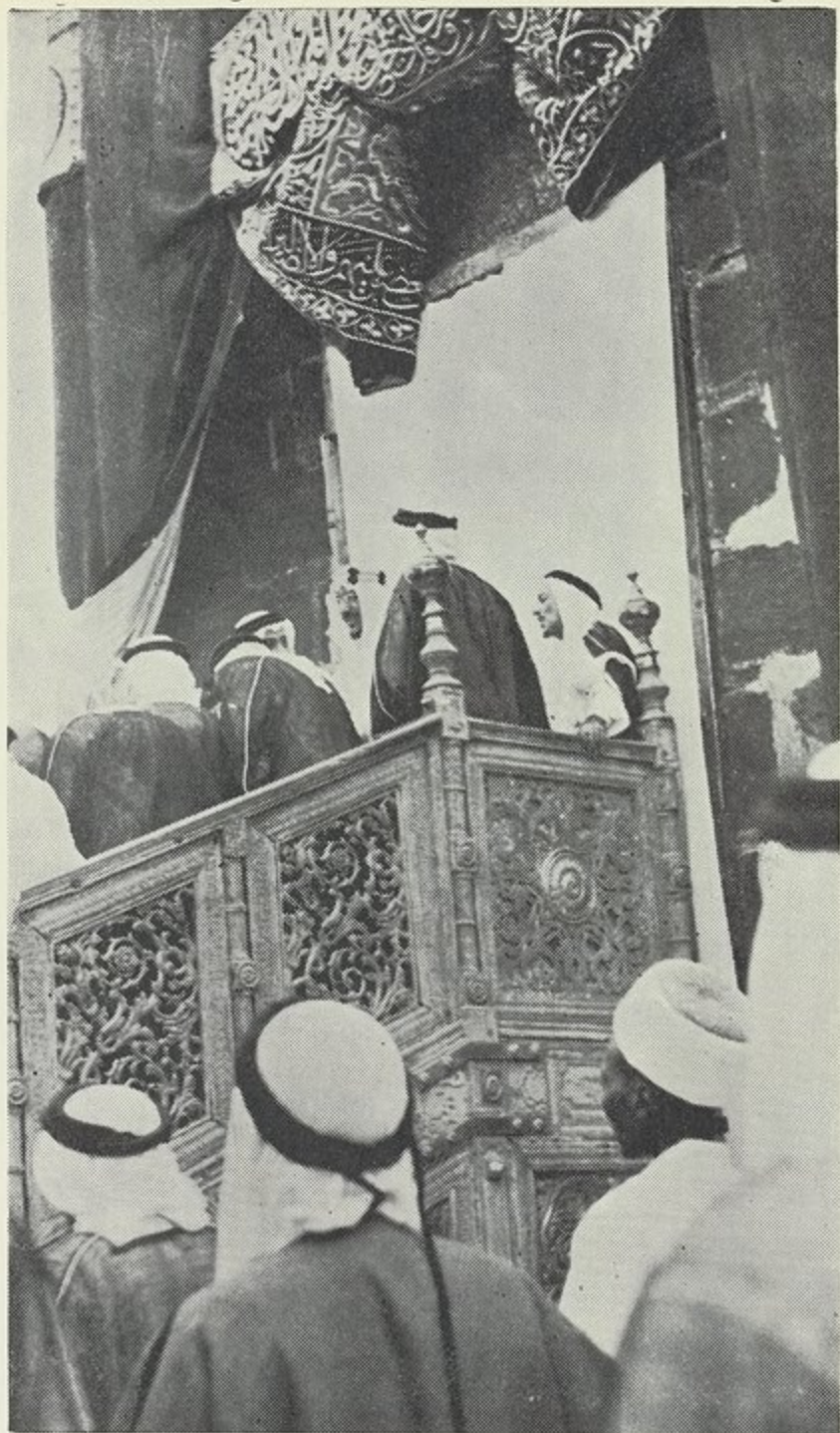
— رصف ممشى (مشايات) الحرم الشريف بالرخام الأبيض .



الباخرة سعود راسية على ميناء جدة



مدينة الحجاج بجدة



صاحب الجلالة الملك سعود في حفل تركيب باب الكعبة المشرفة

- إصلاح الظلال المتحركة والموجودة حالياً بالمسجد الحرام .
- الإكثار من دورات المياه المتفرقة بجوار المسجد الحرام .

٢ - الطرق

في مكة :

- * فتح طريق كدى « وسفلته » .
- * تعبيد شارع المنصور وإيصاله بطريق كدى .
- * توطئة ربع الحجون في قننه أربعة أمتار وسفلته حتى يلتقى بخط الأسفلت
- بالشارع العام في جرول .

في عرفات :

- * إنشاء خط رئيسى جديد « مسفلت » بعرض تسعة أمتار من عرفة
- يميناً ماراً بالأخشبين فزلفة فنى ، وذلك ليكون مخصصاً فقط للسيارات المحملة
- النازلة من عرفات بعد النفرة .

- * إكمال الطريق المسفلت الموجود حالياً ابتداء من منتهى الأسفلت حتى
- مقهى عرفات فنمرة شمالاً فغرباً إلى أن يتصل بالأسفلت فيما دون جبل الرحمة
- مع إصلاحه في كافة جوانبه ونواحيه إصلاحاً تاماً ، وذلك ليكون مخصصاً فقط
- لمرور السيارات الحالية العائدة إلى عرفات من بعد النفرة .

- * عمل الطرق الفرعية اللازمة في ساحة عرفات نفسها وسفلتها كلها ،
- وذلك لتسهيل اتصال جميع هذه الطرق الفرعية المتقاطعة بالطريق الرئيسى
- العام . . .

في مزدلفة :

إحداث وعمل الطرق الفرعية المتقاطعة اللازمة في مزدلفة .
سفلة جميع هذه الطرق الفرعية المتقاطعة لتسهيل اتصال كل منها بالطريق
الرئيسي العام .

في منى :

فتح طريق من الجبل الواقع خلف جرة العقبة بمنى وذلك لإيجاد وتيسير
طريق خاص للذهاب (للرمى) وطريق خاص بالعائد بعد الرمي .
* سفلة الشارع العام بمنى .

الصحة

في رابغ :

تأسيس مستوصف صحي في رابغ .
تأسيس مستوصف صحي في المسيجيد .

في المدينة :

إتمام مستشفى جلالة الملك ، وذلك بإكمال لوازمه الأساسية في حدوده
الأصلية .

عمل مظلة كبيرة في مطار المدينة مزودة بلوازمها من الماء والنور ودورات المياه
على غرار مظلة جدة .

إنشاء دورة مياه عمومية بالمناخة بجوار مظلات إدارة الحج هناك باعتبار
أن هذه المظلات هي المركز العام المخصص في الذهاب والإياب لاستقبال
وعودة الحجاج .

عرفات يوم الموقف



في مكة :

عمل مستوصف بمحلة السفلة للعرل .

في مزدلفة :

عمل مظلتين عموميتين من الإستبس .

في منى :

تخصيص بعض البيوت التي أمر بانتزاع ملكيتها من أصحابها بعد تعويضهم عنها كمستوصفات صحية عامة .

* عمل مظلة من الإستبس في المجزرة بجهة المذبح .

* عمل مظلة عمومية مقسمة إلى عنابر متعددة وبوابات عامة بجوار إدارة الحج بمعنى لإيواء التائبين الضائعين طيلة أيام التشريق .

في السيجيد :

حفر بئر ارتوازي لتأمين سقيا الحجاج بصورة ثابتة .

في مكة :

إنشاء خط مواسير لعين زبيدة من عرفات إلى مكة على أن تكون من المواسير الزهر ، وذلك بدلاً من « الدبول » الحالية الموجودة .

* إيصال الماء في مكة إلى جميع المحلات التي لم يسبق وصول الماء إليها بالكلية من قبل .

* عمل الترتيب اللازم لتقوية الماء وتعميمه في المحلات التي كان من قبل يصل إليها بمقدار قليل في عرفات .

* إعادة النظر من جديد فى خطوط توزيع الماء فى عرفات مع تعميمه فى جميع مناطقها ، مع ملاحظة إنشاء خط المواسير من عين زبيدة إلى مكة بإبطال الدبول الحالية فى مزدلفة .

* إنشاء خط مواسير زهر من عين الجديدة إلى منى مع بناء خزان جديد بجانب الخزان الأول على جبل المفجر .

* إعادة النظر من جديد فى خطوط توزيع الماء بمنى وتعميمه فيها .

* تأسيس المستوصف الصحى اللازم بمدينة الحجاج بجدة .

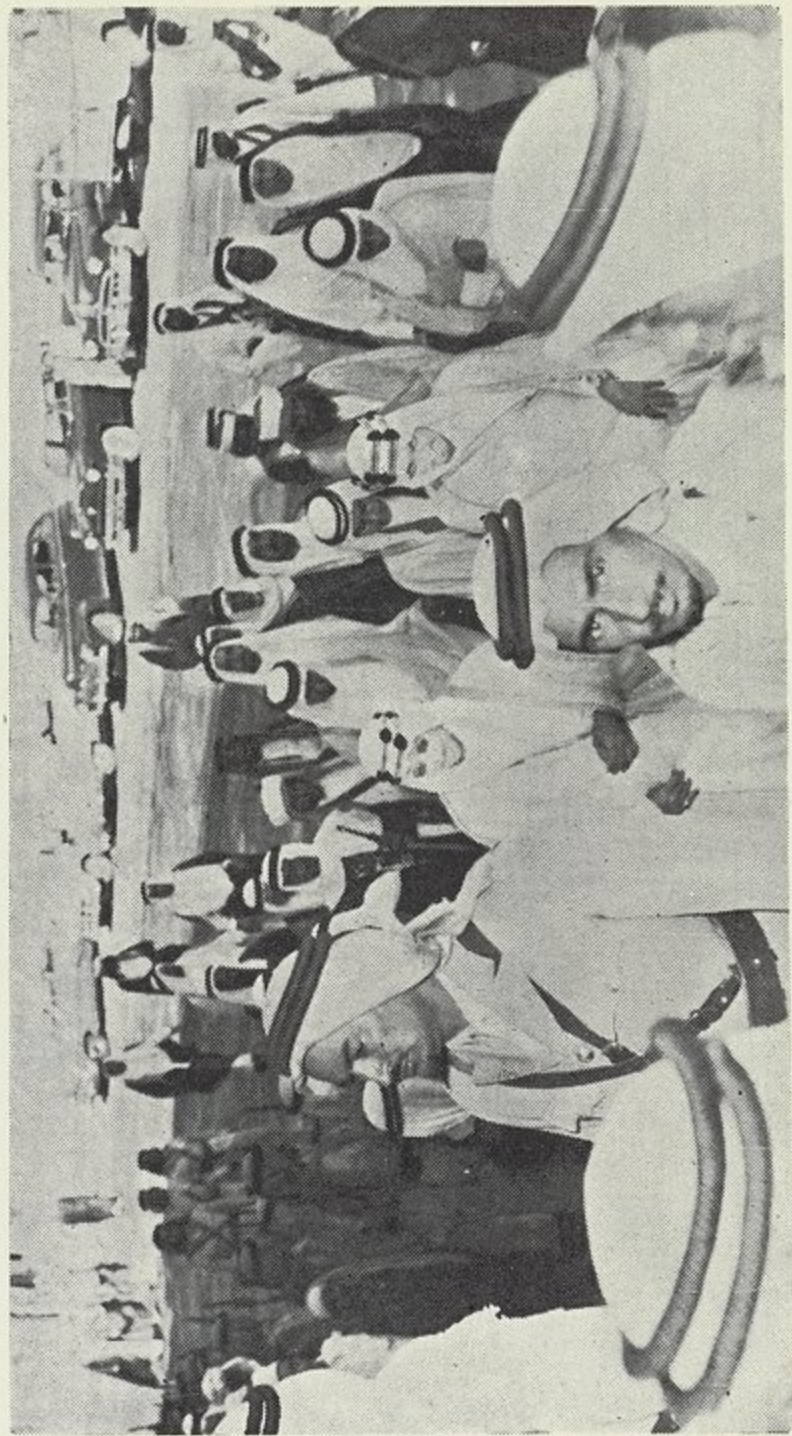
* تأسيس مستوصف الشامية .

* تأسيس مستوصف محلة الباب .

* عمل صيدليات ومراكز مؤقتة للإسعاف فى كل تقاطع من خطوط الإسعاف فى عرفات يجعلها ثابتة بجوار مظلة الأوقاف قرب مسجد نمرة بأخذ جانب منها ، وأن تكون منظمة فى مراكز التقاطع الأخرى على أن يتم العمل فيها قبل حلول موسم الحج المقبل . .

* عمل غرفتى إسعاف إلى جانب كل من مظلتى الجزيرة وبحر الكباش وذلك باحتجاز وأخذ قسم من كل من المظلتين للغرض المذكور .

إن من وراء تلك المشاريع التى قامت فى سبيل الحج رجالاً من صميم الشعب الحجازى وقف جهده ووقته فى سبيل خدمة هذا البلد المقدس ، وهو بهذا وهذا وحده جدير بأن تسجل جهوده فى صفحات التاريخ الذى لا يُغفل للعاملين أعمالهم ، ذلك الرجل هو « محمد سرور » الذى ينبغى أن يذكر عندما تذكر أبحاد الملك فى مشاريع الإصلاح والإنشاء .



صاحب الجلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل وأصحاب السمو الأمراء وبعض من
علية القوم بينهم الشيخ محمد سرور الصبان

وهل تكون مكرمة للملك إلا ويكون فيها ذلك الرجل الذى يقف جندياً وفيما من جنوده الأوفياء يعمل على تحقيق رغبات مولاه ؟ إنه رجل الولاء لدينه ووطنه ومليكه . وهو حكيم مجرب فليس من السهل على الرجل القريب من الملك إرضاء غالبية كبيرة من مواطنيه ، غير أن الرضا عن محمد سرور يكاد يكون إجماعياً فى البلاد السعودية مع تمتعه بكل ثقة الملك . فقد ولاه الملك — عندما تولى الملك — وزير دولة وعضو مجلس وزراء ومستشاراً ملكياً عدا مسؤولياته الأصلية التى من أهمها الإشراف على شئون الحج والإذاعة ، وهى مسؤوليات خطيرة لا يأتحن عليها الملك إلا رجلاً من رجاله لأنها تمثل صلة الملك وحكومته وشعبه بالعالم الإسلامى كله .

ونحن هنا نتكلم عن محمد سرور لا بصفته رجلاً يملك من الجاه والمجد ما يملك ، ولكن بصفته رجلاً شعبياً عرف كيف يكون الرجل الممثل لرغبات شعبه فى بلاط الملك بأمانة وولاء للملك والشعب ، ونحن معاشر المسلمين أصبحنا فقراء فى رجالنا وأصبحنا فى أشد الحاجة لرجال أمناء أمام السلطات الحاكمة والقوى الشعبية ، رجال لا يجاملون الملك فى الحق لأنهم يحبون الملك ويفتدون عرشه ويحفظون رغبات الشعب وآماله ويقدمونها للملك فى أمانة ووفاء ، فالملك يُضار بنفاق حاشيته ويُصلح بنصحها وصدقها وشجاعتها فى الحق . ولو لم يكن محمد سرور على جانب كبير من الرجولة والفضل ما أحبه الملك وحمله الأمانة وما أجله الشعب ووثق فيه .

وإنى أرجو الله من صميم قلبي أن يكون بجانب الملك عشرات من أمثال محمد سرور ، وفى شعب الجزيرة المباركة مئات أمثاله الذين يعرفون مدى مسئولية الرجال العاملين فى مناصب الدولة الخطيرة .

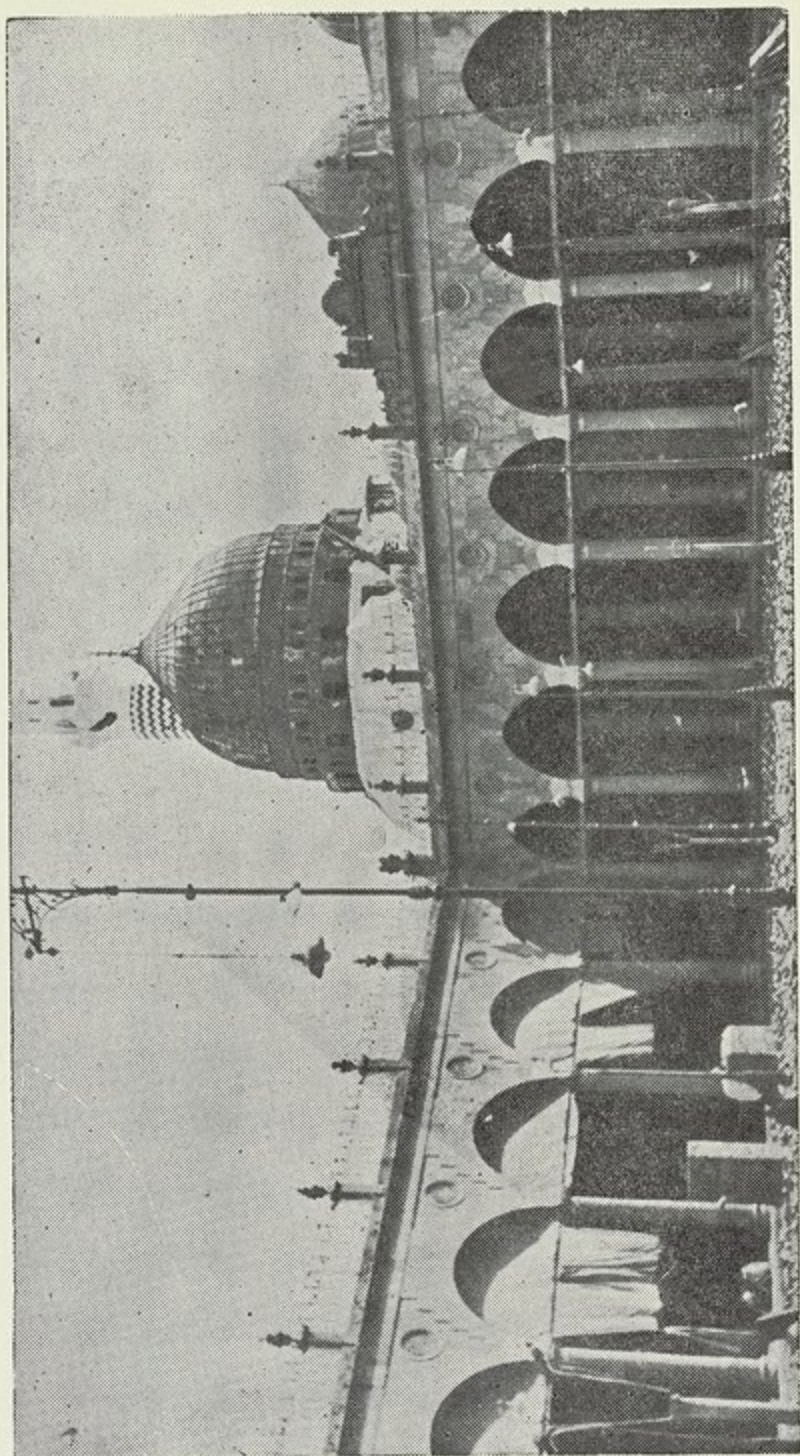
سیدی القاری .

ليس أغلى على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من بقعة ضمت جنان
الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وليس أقدس في قلوبهم بعد الكعبة من أرض الجنة
فهم كما يهيمون طائفين حول الكعبة يهيمون بالروضة الشريفة وما بين بيت
رسول الله ومنبره مصلين ضارعين ، ولذلك كانت مشروعات سعود بالمدينة المنورة
بلد الأنصار ومأوى المهاجرين خير أعماله .

وإنني حينما زرت المدينة خلال السنوات الماضية كتبت أنقد الحكومة
السعودية وأهيب بالملك الراحل رحمه الله عبد العزيز آل سعود أن يرعى الحرم الثاني
للمسلمين ، وكان الألم يأخذ من نفسى كل مأخذ لما كان يكتنف المدينة من ضيق
اقتصادي ونقص في جميع نواحي حياتها ، ولكن ماكدت أزورها عقب زيارة الملك
سعود سنة ١٣٧٢ هـ حتى لست جهود جلالتة ، فقد تقدمت المدينة المنورة خطوات
واسعة بعد مضي مدة قصيرة لا تزيد على تسعة شهور .

فقد برهن عملياً على حبه وولائه للبلد الذي شرفه الله فجعله حرماً لمحمد
صلى الله عليه وسلم .

وإنك لتستطيع أن تعرف ذلك من حديث أهل المدينة عن الملك ، فهم يكونون
لجلالتة من الحب ما تلمحه في عيون أهلها عن سعود حبيب الشعب وخادم
الرسول ورمز الأمل وغيث الخير . تلك الصفات التي تستمع إليها وهي تنساب
كالموسيقى الهادئة الحلوة ، تستمع إليها وهي تنساب من بين ثنايا أحاديث أهل المدينة .
وعندما يذكرون زيارته الأولى لبلدهم المبارك ويذكرون ماأسدى لها من الخير
ترى رعدة حلوة تتملكهم فترتعش الشفاه منهم وهي تنفرج عن ابتهالات إلى الله
بأن ينصره ويؤيد ملكه ويحفظ عرشه .



الحرم النبوی الشریف

وهاهى الحقائق القائمة فى أرض النور فى المدينة المنورة تنادى المسلمين فى كافة
البقاع بالولاء لسعود أمل المسلمين ورجائهم المرتقب وخادم الحرمين . . .

فهاهو الشيخ (ابن لادن) يحدثك عن المشاريع فى المدينة وأوامر الملك سعود
بالإسراع فى التنفيذ ، وهاهو الرجل الطيب ذو الهمة والنشاط الشيخ صالح قزاز
يقدم لك من الخدمات مايسهل عليك مشاهدة تلك المشاريع ويشرح لك الغايات
السامية التى دفعت جلالة الملك سعود إلى إنشائها فتمتلى نفسك حباً لسعود وولاء
وتقديراً ، فلقد قننا من مكتب مشروع الحرم فى صحبة السيد القزاز ومعنا الأخ
الصديق رشدى الملا مفتش عام الطرق وبدأنا بمشاهدة أعمال التوسعة الجديدة
فى الحرم والسيد القزاز يشرح كل شىء فى دقة ودراية واسعة . . .

وهى بعد مفخرة ستظل ناطقة بأعجاد الملك الصالح الخالد الذكر عبد العزيز
والملك القائم بأمر الله سعود .

ولقد ذكرت بين يدى جلالتى موضوع توسعة الحرم المقدس عندما أذن لى
بمقابلته فى ذى الحجة سنة ١٣٧٢ هـ فدى إلى نظراته الهادئة المهابة الوقورة وقال
وهيبة الحاكم العادل التقى تحوطه بسياج من الإكبار والتجلة : (إن عمارة المسجد
النبوى يا أختاه هى مكرمة هذا القرن وهى يد لأبى الصالح حفظه الله ولن ننساها
له معشر المسلمين ولقد سألت الله أن تكون لى يد فى تلك المكرمة الخالدة على مر
الأزمان ، وقد كان لى ماتميت فضلاً من الله . إذ وضعت الحجر الأساسى لتوسعة
المسجد المبارك وشعرت بسعادة لم أحس بها من قبل .

وهنا سكت جلالتى برهة ثم قال (الحمد لله - نرجو التوفيق من
رب العالمين) .

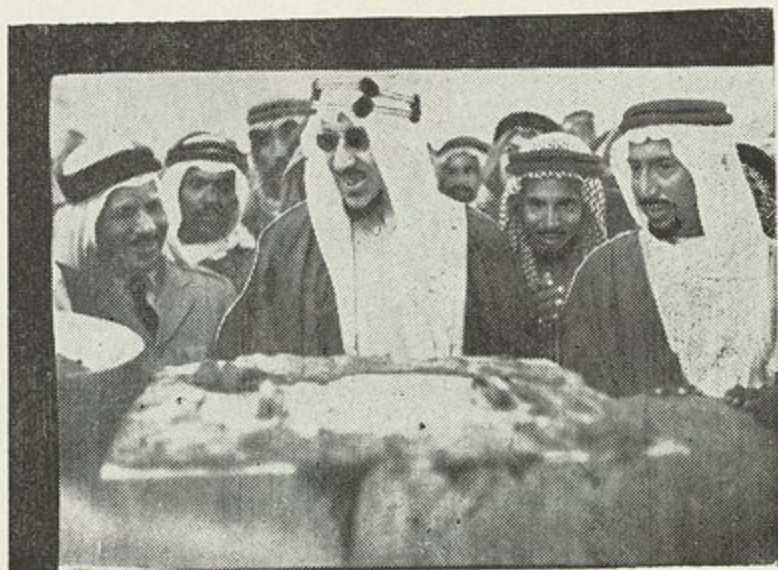
تلك كلمات نطق بها جلالتى حين كان ولياً للعهد ولا تزال حلاوتها ترن
فى أذنى .

فهل وقفت جهود جلالتة في بناء وتوسعة الحرم عند وضع الحجر الأساسى للمشروع ؟ .

كلا : فقد ظل مشروع توسعة الحرم النبوى المقدس أمانيا تطوف بأفكار المسلمين وأحلاماً يتسوا من تحقيقها حتى ضجبت الصحافة المصرية سنة ١٣٧٠ بأن أعمدة من المسجد الشريف كادت تنهدم وخلاً مس بالبناء المبارك فزلزلت مشاعر المسلمين فانتقلت بمجامع قلوبهم إلى (طيبة) الطيبة المباركة بلد الأنصار ومضيفه المهاجرين ومركز الاستقرار لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وعمل المسلمون جاهدين مسارعين على جمع المال لإصلاح وتجديد الحرم النبوى الشريف وهم يتسابقون إلى هذا الشرف وكلهم يتمنى لو تطلب منه روحه فيبذلها راضياً في سبيل هذا الحرم المقدس .

غير أن الملك الراحل عبد العزيز آل سعود أراد أن يؤثر نفسه بهذا الشرف الذى أراد المسلمون أن يشاركوه فيه ، واستأثر الراحل الكريم فعلاً بهذا الشرف لنفسه وخليفته من بعده سعود ليتوج به هامة ملك آل سعود وليكون وشاحاً يتشح به فى الخالدين يوم لا يجد المرء إلا ما قدمت يداه . فأعلن جلالتة رحمه الله أنه قرر تعمير المسجد النبوى من ماله الخاص ثم أمر أن يرد كل ما جمع لهذا المشروع إلى أهله ، (وتبرع جلالتة لذلك العمل الجليل بستة ملايين من الجنيهات) وما كاد رجال الملك يعرضون عليه أن تكاليف — التعمير والتوسعة — ستتجاوز المبلغ المتبرع به حتى ضاعف الملك تبرعه ، ولكن المشروع اتسع واحتاج إلى أكثر من ذلك لأن المساحة التى أدخلت لتوسيع الحرم الشريف بلغت سبعة آلاف من الأمتار المربعة نزع ملكيتها بما عليها من مبان من أصحابها ، وقد كانت المساحة الأصلية للمسجد القديم عشرة آلاف من الأمتار المربعة وبذلك تكون هذه أكبر توسعة فى التاريخ أدخلت على مسجد رسول الله من يوم أن بناه الرسول .



الملك سعود الأول يضع الحجر الأساسى لتوسعة المسجد النبوى الشريف



الملك سعود الأول فى حفل وضع الحجر الأساسى للمسجد النبوى الشريف

وبهذا تكون هذه التوسعة لمسجد الرسول — التي رصد لها ستة ملايين من الجنيهات — عملاً إنشائياً أوجد في المدينة انتعاشاً اقتصادياً . ولكن عاد وزير المالية وعرض على الملك أن هذا المشروع يحتاج إلى أكثر مما تقرر له ، فقال الملك لوزير المالية : لاتراجعني ثانية في هذا الأمر ، والغ غصصاتي ومخصصات أولادى حتى تتم العمارة ، ولتعلم أننى على أتم استعداد لأن أعيش على لبن الإبل أنا وأولادى ، ولا نلبس إلا الخشن الضرورى إذا لزم الأمر إلى أن تتم العمارة والتوسعة لمسجد محمد صلى الله عليه وسلم وإياك ومراجعتى في هذا الأمر .

وهكذا أراد الملك العظيم أن يكلل خدماته للإسلام في أيامه الأخيرة بأصلح عمل يتقبله الله ، وأى عمل أفضل من توسعة وتعمير مسجد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . نعم إنه تعمير ثانى الحرمين إنه المسجد المقدس .

وكلف عبد العزيز العظيم رحمه الله وطيب ثراه ابنه وولى عهده جلالة الملك سعود بأن يذهب إلى المدينة ويضع الحجر الأساسى نيابة عنه ، فذهب لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في أول عام ١٣٧٢ وضجت المدينة بالفرحة وهتفت له بالولاء ، واتجه الركب الميمون إلى المسجد المبارك بين الجموع المحتشدة المهللة المرحبة ، وحمل سعود مواد البناء ووضع الحجر الأساسى لتوسعة المسجد ، وهتف المسلمون — الله أكبر ، لقد تحققت الآمال وصحت الأحلام وبدأ البناء سعود .

وذكر لى أفاضل أهل المدينة أن دموعه كانت تنهمر موحية بالعبودية المتواضعة لله أثناء وضعه الحجر الأساسى ، فكان نعم العبد المقدر لنعمة الله عليه باختياره واختصاصه لهذا العمل الجليل .

وبافتتاحه لهذا المشروع الجليل سارت عمارة المسجد في طريقها نحو غايتها المرموقة بهمة ونشاط من القائمين بهذا الأمر حتى تم في بحر سنة واحدة تعمير

ملا يمكن أن يتم مثله في أقل من خمس سنوات في أى بلد آخر توفرت فيه سهولة النقل ، ولكنها روح الله تمد القائمين بالعمل في المشروع بقوة خفية .

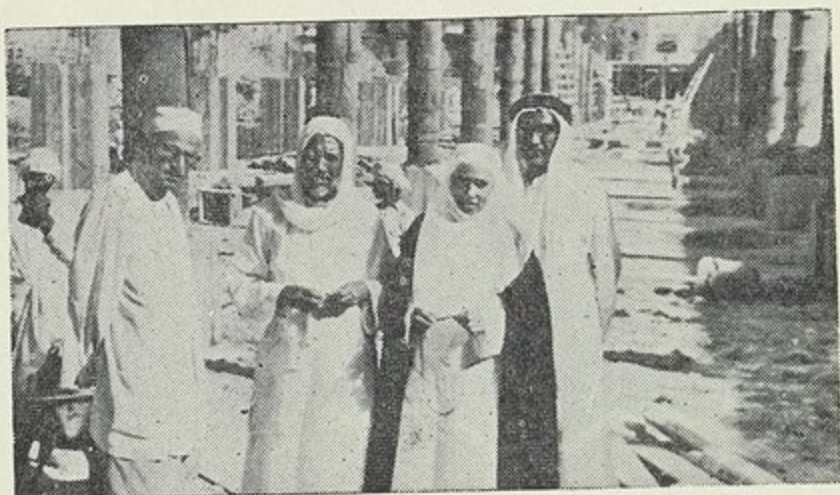
وإنصافاً للتاريخ نذكر أن أول من نادى بمشروع التوسعة والتعمير ليست الصحافة المصرية سنة ١٩٥١ ، ولكن أهالى المدينة المنورة هم الذين كتبوا لجلالة الملك عبد العزيز يطالبونه بتعمير المسجد وتوسعته وجعله فى الصورة اللائقة به وبمكانة الإسلام والمسلمين .

والذى تولى تقديم هذا الطلب عن أهل المدينة هما : السيدان على وعثمان حافظ صاحباً جريدة المدينة المنورة .

وكان ذلك قبل مطالبة الصحافة المصرية بعدة سنوات . وقد اطلعت بنفسى على البرقيات التى تبودلت بين صاحب الجلالة المغفور له عاهل الجزيرة العربية وبين السيدين فى هذا الصدد . وقد بدأ جلالتهم من ذلك التاريخ تلبية طلب أهل المدينة بانتداب كبار المهندسين من العالم الإسلامى وعلى رأسهم مصر والباكستان لوضع التقارير الفنية والمشاريع الهندسية التى تساعد على تنفيذ المشروع .

ولقد أدهشنى الشوط الذى وصلت إليه العماره المباركه عند زيارتى المدينة المنورة فى المحرم سنة ١٣٧٣ هـ ، فلقد رأيت فى أرض النور عجباً يذكرنا بالقصة الخالدة ، قصة بناء الملائكة للكعبة وقصة بناء الخليل للكعبة وقصة الحجر الذى كان يسعى بخليل الله صاعداً وهابطاً ودائراً حول البناء المقدس . وكيف لا يجرى بخيالك وذهنك أكثر من ذلك حين تشاهد العمال والمهندسين العاملين فى الحرم فيذهلك نشاطهم حيث تجدهم من مطلع الفجر إلى ما قبل الغروب يعملون فى نشاط منقطع النظير وكأن تياراً كهربائياً يحركهم .

وتجد ذلك الرجل الصالح الشيخ صالح قزار وهو يشاركهم العمل بالإشراف



المؤلفة تتشرف بالعمل في رمى « دكة » الأساس المبارك



المؤلفة في الحرم النبوى الشريف أمام الأعمدة التى تم تشييدها ومع كبار المشرفين على المشروع

والنصح لا يستريح ساعة من نهاره ، بل تجده كالنحلة الدائرة يحمس العمال وينشط الفنانين مداعباً لهم بهاتين الكلمتين وهو يربت على أكتافهم قائلاً : « أجر وأجرة هيا هيا » فيردد العمال هاتين الكلمتين غناء في غدوهم ورواحهم . ولن تجد أبداً عاملاً متذمراً أو شاكياً من تعب . إنها الكرامة من الله لمسجد رسول الله .

لم أر عمالاً يصعدون مثل تلك (السقالات) في ذلك الاطمئنان العجيب ، وكأنهم يمشون على بسط من سندس في روضات متراحة الزهور والرياحين ، ووجوههم مبتسمة فيها نور ، وخطواتهم سريعة مطمئنة في صعودها وهبوطها ، وهم حلقات دائرة حول بعضها كعمود من اللؤلؤ تجري في سلك ذهبي مكهرب . غير أنهم أفضل وأعلى من الدر اليتيم ، فأى معدن معدنهم ، إنهم عمال في مسجد رسول الله ؛ المسجد الذي عمل في بنائه محمد وأبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد وأسامة وكل الأجيال الأخيار أصحاب محمد وحملته مشاعل النور أئمة الأمة وهداتها .

إن العمال مرحون لجرد أنهم يعملون في مسجد محمد عليه الصلاة والسلام ، فهل علموا أن محمداً وأصحابه كانوا عمالاً يحملون التراب والأحجار لبناء هذا المسجد ؟ .

لا شك أن كل عامل تشرف بالعمل في البناء المقدس قد غدا إنساناً تغبطه ملوك الدنيا على ما حمل من شرف . .

وفي يوم الخميس الموافق ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ من الهجرة . . في ذلك اليوم التاريخي الأغر خرج أهل المدينة المنورة عن بكرة أبيهم لاستقبال جلالة الملك سعود الأول في مطار (المدينة) وفي الطرقات المؤدية إلى المطار ، وبعد أن هبط من الطائرة وصافح الشعب المحتفي بمقدمه سار ركبه الكريم

إلى المسجد المقدس واتجه إلى الروضة الشريفة ، وبعد أن صلى ركعتين تحية للمسجد تشرف بالسلام على حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذ جلالته يتفقد أعمال التوسعة ومراحل العمل والتقدم في العمارة المباركة التي بدأ جلالته العمل فيها السنة الماضية بوضع الحجر الأساسى ، وأخذ الملك بجلال النور الذى يظل العمال وهم يرفعون التراب ويضعون الأحجار ويديرون الآلات الميكانيكية ويتسلقون السقالات ، فنسى سعود أنه ملك متوج وحاكم ذو أهبة ودنيا تحيط به .

وفى غمرات النور شغل عن كل شئ إلا عن كونه عبداً يقف بين عبيد تشرفوا بخدمة المسجد الذى خدم فيه من قبل محمد أشرف عباد الله صلى الله عليه وسلم . فرمى سعود (العبادة) وحمل التراب ورفع الأحجار وسار عاملاً بين العمال يعبد الله بخدمة بيت الله والتف العمال حول العامل الأول .

وبعد أن عمل الملك فى البناء ونقل التراب والأحجار ذهب فأشرف واشترك فى حفر أسس المئذنة الشمالية الغربية التى أسست بأمر جلالته فى ذلك الركن من الحرم الذى أنشئ حديثاً خلال التوسعة الجديدة .

ولم يترك جلالته جانباً من العمارة لم يتفقدده وهو يستمع إلى شرح الفنيين المشرفين على العمل ، وعلى رأسهم الشيخان ابن لادن والقزاز ، وقد سر جلالته لأمانة المشرفين على العمل وحسن جدهم وعظيم اجتهادهم فى إنجاز المشروع بتلك السرعة الفائقة ، فقد تم العمل بالجنح الغربى وأشرف الجانبان الآخرا منها على الانتهاء وذلك بفضل اهتمام جلالته ودوام ملاحظته واستفساره واستعجاله لإتمام المشروع الجليل .

ومما هو جدير بالذكر أن تاريخ صدور الأمر الملكى بالبدء بتنفيذ المشروع المبارك كان فى ١١ رمضان سنة ١٣٧٠ كما صدر أمر ملكى آخر فى التاسع من

شهر رجب سنة ١٣٧٢ من الهجرة بالاستمرار في توسعة الحرم النبوي وإصلاحه على أساس التصميم الذى وضعه المهندسون المصريون وأقره المهندسون الباكستانيون والذى بموجبه نقضت الأقسام الثلاثة من الحرم الشريف (الشرق والغربى والشمالى) وبقي القسم الجنوبى وهو القسم المشرف بالحجرة الشرقية والروضة المباركة والآثار النبوية المباركة .

كما صدر أمر ملكى جليل فى نفس التاريخ بملاحظة ألا ترتفع الأبنية الجديدة عن ارتفاع بناء المسجد القديم .

ويسير العمل فى المسجد لإتمام التوسعة فى الجناحين الآخرين على أحدث أساليب العمارة الحديثة بإدارة نخبة من الفنانين التى تضم أكثر من ثلاثين موظفاً . كما أن عدد المهندسين المصريين الذين يعملون فى المسجد لا يقل عن خمسة عشر مهندساً .

كما أن عدد العمال الذين يعملون فى العمارة يزيد على الستمائة عامل ، بينهم أكثر من ٢٠٠ عامل من مصر وسوريا وفلسطين ، منهم إخصائيون فى أعمال « الخرسانة » والحديد ، ومدة العمل اليومى للعمال ثمانية ساعات ، وأكبر أجر يدفع للعامل يومياً عشرون ريالاً سعودياً للعمال الفنانين وأدناها أربعة ريالات يومياً للعمال العاديين .

ويشرف على هؤلاء العمال عشرة مهندسين يتراوح مرتب الواحد منهم شهرياً ما بين (٢٥٠) جنيه وثلاثمائة جنيه .

ويصرف للعمال والمهندسين أجور إضافية عن ساعات العمل الزائدة ، كما تصرف لهم مكافآت فى المناسبات ويقدم لهم العلاج والدواء بالجنان ، فضلاً عن أجورهم التى تصرف كاملة أثناء المرض وكذلك الحال فى دور سكناهم .

هذا هو النظام الذى يتبع بالنسبة لهؤلاء الذين يقومون بالعمل فى العبادة .
وغالبيتهم من أهالى المدينة جيران (محمد صلى الله عليه وسلم) وهم يمثلون الأخلاق
الفاضلة والصدق والتعاون بإخلاص فيما كلفوا به . ترى ذلك فى وجوه نظرة وأيد
نشيطة وابتسامة وتؤدة وانصراف إلى أعمالهم يجعل الناظر إليهم يحمل لهم كل
إجلال وتقدير .

تلك هى صورة موجزة مختصرة للأعمال الجليلة التى يقوم العمل فيها الآن على
قدم وساق لتوسعة حرم الرسول . فحيا الله سعوداً حتى يملأ جميع أطراف الجزيرة
بأياديهِ وأمجاده ، وبالخطير من إصلاحاته وإنشاءاته وإن شاء الله قريباً تتم التوسعة
المباركة ويصافحه المسلمون شاكرين له جهده فى رعاية حرمهم الثانى معترفين بحمليه
مقدرين فضله .

وإن انتقلنا من الكلام عن عمارة المسجد النبوى فإلى الحديث عن ذلك
المشروع الخطير الذى أتمه سعود العظم فى سنة واحدة فكان مفخرة لأجناد
سعود العديدة بالمدينة المنورة إلا وهو مشروع إدخال المياه النقية إلى
البلدة الطيبة .

لأن زيارة الملك سعود للمدينة المنورة لم تتوقف خيراتها على مشروع التوسعة
فى الحرم النبوى بل أبت همته إلا أن تكون تلك الزيارة فاتحة خير تغير من معالم
ما حول الحرم المبارك بما يليق بمقام البلد المبارك .

وإليك المشاريع الخطيرة المهمة التى قررها الملك العظيم ونفذت تحت إشرافه
فى مدة عام ، ولو كانت هذه المشاريع تقرر عملها فى بلد متوفرة فيه الطرق المعبدة
والنقل السهل لما تمت فى أقل من خمس سنين ولكنها همة الملك وأعمال الرجال
الساهرين على إنفاذ أوامره وتحقيق رغباته .

فلقد أمر جلالته بإنشاء خزانات لمياه عين الزرقاء (بقبا) ولقد قدر لى أن

أزور هذه الخزانات أثناء زيارتي للمدينة المنورة في المحرم سنة ٧٣ وقد أقيمت على أحدث طراز واستوردت لها الماكينات الحديثة فامتدت الأنابيب الضخمة من عين الزرقاء (بقبا) إلى (المناعة) داخل المدينة فأصبح في إمكان كل مواطن بالمدينة المنورة أن يدخل المياه في بيته بواسطة ، الأنابيب وبذلك أصبحت المدينة ، المنورة كأي مدينة حديثة تتمتع بالمياه النقية المقطرة . . . وتلك يد لسعود ليس جميلها محمولاً له في عنق أهل المدينة فحسب بل أصبحت معلقة له في جميع أعناق المسلمين . فكل رقي وكل تقدم في بلد رسول الله ، شرف يفاخر به كل مسلم . ومما هو جدير بالذكر أن كل خزان من هذه الخزانات يتسع لـ (٧٥٠) طناً . والغرض من إنشاء هذه الخزانات حفظ الماء من التلوث وإيصاله إلى المدينة نقياً ، وإن الأنابيب التي امتدت من عين الزرقاء تسحب المياه من الخزانات إلى المدينة هي أنابيب قوية مقاسها الاسطوانى ١٢ بوصة .

وإن تركنا هذا المشروع الجليل نجد مشروعاً هو من الأهمية بالنسبة للمدينة إذ هو ضرورة حتمية ، فلقد كان السيل يأتي في كل عام فيحجزها ويقطع السيل إليها ويلحق الضرر بسكانها فكم من ضحايا ماتوا غرقى أو جوعاً ، مقطوعين من جراء السيل ، ولهذا أمر جلالتة بإنشاء (كوبرى) ضخمة على وادى بطحان في ناحية قباء وذلك في نفس زيارة جلالتة الأولى سنة ١٣٧٢ للمدينة . وفعلاً تم ذلك الكوبرى .

وقد تفضل جلالتة فافتتح الكوبرى في نفس اليوم الذى اتجه الركب الملكى فيه إلى قبا حيث افتتح عين الزرقاء بها ثم عاد إلى المدينة حيث شرف حى المناخة أمام شارع العينية وافتتح بيده الماء من هناك للسقاة .

فهل انتهت مشاريع سعود في المدينة عند تلك الأجناد ؟ كلا . . . وكيف

تتهى أجداد الرجال . فتلك هى الكلية العلمية بالعنبرية وهى مبنى كبير أشادته الدولة العثمانية ولم تتمم بناءه ليكون جامعة إسلامية للعلوم الشرعية ولكن ذهب الأتراك ولم يتمموه ، فطلب أهالى المدينة من الملك سعود أن يتمم بناءه ، فأصدر أمره الكريم بتتيمم الطابق الأول من البناء وبتسقيفه وتكملته على أحدث ما تقام به الدور العلمية وذلك لتنقل إليه المدرسة الثانوية والمعهد السعوى بالمدينة بعد إدخال التحسينات الملائمة لما عليه الوضع فى المدارس فى العصر الحاضر .

وماذا بعد تلك الأعمال فى المدينة من مشاريع ؟ . . .

مستشفى الملك الذى أمر جلالة الملك سعود ببنائه على أحدث طراز . وقد افتتحه جلالاته حين تم إنشاء جناحين منه والعمل يجرى فى سرعة ونشاط لإتمام الجناحين الآخرين اللذين أمر جلالاته بإتمامهما بأقصى سرعة ممكنة وقد زرت المستشفى بنفسى أثناء وجودى بالمدينة فى شهر المحرم سنة ١٣٧٣ هـ . وزرت قسم أمراض النساء والمستشفى بعد إتمام الجناحين الأولين .

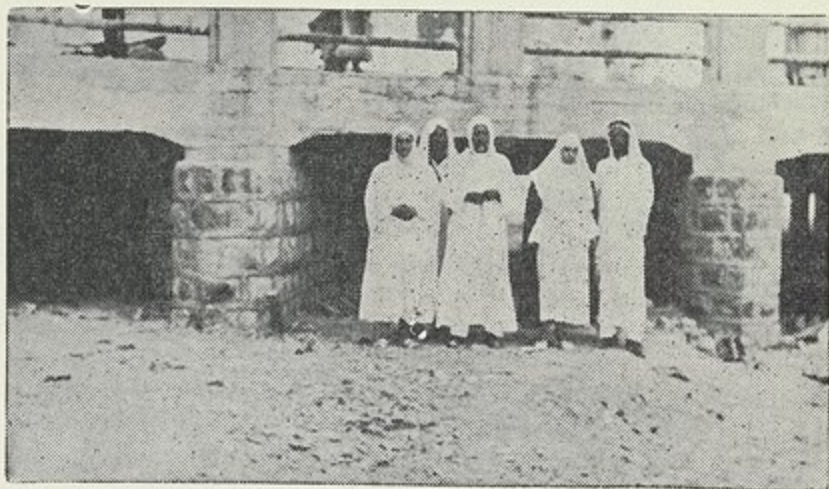
ولأن الطريق المؤدية إلى المزارات خارج المدينة طرق شاقة ومتعبة ، وحيث أن تعبيد الطرق أمر مهم فى حياة البلدان وتقدمها ، أمر الملك بأن ترصف جميع الطرق المؤدية إلى المدينة ، وقد تم رصف طريق (أحد) والمساجد والشارع الموصل إلى باب الشامى والمزارات كما أمر جلالاته برصف جميع شوارع المدينة .

وهناك مشروعان جليلان أصدر فيهما جلالاته وأوامره السامية ، أما المشروع الأول فهو مشروع حيوى تكون به المدينة جنة ويعود لها جمالها يوم كانت تحيط بها القصور داخل المزارع الشاسعة الممتدة فى أرضها الخصبة السوداء المباركة .

وذلك هو مشروع القرض الزراعى وهو مشروع نافع يمنح كل مزارع قرضاً



الملك سعود الأول في إحدى حفلات التكريم بالمدينة المنورة



الكوبرى الذى أنشاه الملك سعود الأول لحماية المدينة المنورة من السيل

ليقتنى الآلات الزراعية الحديثة سواء للرى أو للحرث أو غير ذلك ، ثم تسدد هذه القروض مقسطة على عدة سنين بنسبة مئوية من الإنتاج الزراعى السنوى وحسب ما تقرره اللجنة الزراعية التى كُنت للإشراف على هذا الأمر ؛ وقد قابلت حضرة صاحب السمو أمير المدينة عبد الله السدى وناقشته فى هذا المشروع الذى كلفه صاحب الجلالة بتنفيذه . فأطلعنى على الإيصالات التى سيسلمها لمستحقى القرض لتسلم المبالغ المستحقة لهم وكان ذلك فى المحرم سنة ١٣٧٣ .

وكذلك أمر جلالة الملك المعظم بمشروع القرض العقارى وهو لا يقل أهمية ونفعاً عن مشروع القرض الزراعى حيث يمنح صاحب العقار الحرب سلفة لإصلاح عقاره ، ثم يسدد القرض على مدة تتراوح بين ثلاثين وخمسين سنة . . . وعلى ألا يزيد التسديد عن ١٠ ٪ من كامل إيراد العقار .

هذه هى أيادى الملك سعود المعظم على أهل المدينة النورة فهل انتهت ؟ . . . كلا . . . وهل تنتهى مكارم الأبطال ؟ . . . فلقد أمر جلالتة بإنشاء مدرسة ثانوية أخرى وثلاث مدارس ابتدائية . تلك هى المشاريع التى هى طالع من طوابع الخير واليمن إن شاء الله .

وقد ختم الملك مشاريعه المباركة فى المدينة النورة بحضور حفلة وضع الحجر الأساسى لمشروع إنشاء محطة توليد كهرباء المدينة حيث دعت الشركة المساهمة التى تقوم بهذا المشروع جلالتة ليضع بيده الكريمة الحجر الأساسى لذلك المشروع النافع الجليل فتفضل مشكوراً بإجابة الدعوة ووضع الحجر بين هتاف الجماهير وابتهالاتهم بالدعاء .

عاهلات

اكتنتفت الملكة السعودية فى موسم الحج سنة ١٣٧٢ هـ موجة من الاضطرابات والإشاعات وببللة الأفكار لمرض الملك عبد العزيز بالرياض ، وانتقل جلالته من الرياض إلى الطائف نزولاً على رأى الأطباء وفى ركابه أفراد أسرته الأمراء المتنفون حول سريره يسهرون على خدمته وراحته ، مؤرقين لانحراف صحته ، وكان وهو فى أشد حالات مرضه حريضاً على سير الأمور فى الملكة فأصدر جلالته مرسوماً ملكياً نصب فيه سعوداً قائداً عاماً للجيش السعودى ورئيساً لمجلس الوزراء فكان تأليف أول مجلس للوزراء فى نظام الحكم السعودى فاتحة عهد جديد يهدف إلى تركيز الحكم وتحديد المسئولية .

والشعب يرجو ألا يختلف الأبناء الكرام على مركز الأب الكريم فى يد سعود من الولاية على الأسرة الكريمة وعلى الأمة التى وضع لبنات بنائها ومجدها بكفاحه المظفر مؤملاً أن تكون أسرته كلها وعلى رأسها سعود صفاء واحداً مجنداً لخدمة هذه الأمة . . .

وحم القضاء وانتقل الراحل الكريم إلى جوار ربه ، وامتدت أكف الأسرة المالكة مصافحة سعوداً بالبيعة على الملك فأصدر بيانين أحدهما بانتقال الملك الراحل إلى الرفيق الأعلى ، والثانى بإسناد ولاية العهد لأكبر إخوته الأمير فيصل ولاعجب فقد لعب الأمير فيصل دوراً خطيراً فى دنيا السياسة فهو السياسى العربى الذى عرفت فيه المحافل الرجل المحنك .

وهرعت جموع الشعب تبكي الراحل الكريم وتبايع الملك الجديد . وحمل الجثمان الطاهر إلى مقره الأخير والألسنة ضارعة والقلوب مبتهلة أن يجزى الله الفقيد عن أمته خير الجزاء وأن يتلقاه بالصفح والمغفرة ، والتفت سعود فوجد أفواجاً من الشعب تتجمع وأفواجاً تنصرف والكل إما مبايع أو مجدد للبيعة فكان لتلك المشاعر الصادقة والمواطف المتجاوبة بين سعود وشعبه الأثر العميق في نفسية الملك الجديد ، ولو نظرت إليه في تلك اللحظات لتصورت لسان حاله يقول : كم أعطى الشعب من نفسى ؟

نعم كم أعطى ذلك الشعب الذى التف حولى في الشدة وبإيعنى بالولاء ولم يسألنى حقاً على ذلك فهل أفوز منه بالبيعة وأنفرغ لجاهى وملكى وما حولى من الدنيا وزينتها فأنصرف إلى متاعى ؟ لو فعلت لكنت غير كفء لما حملت به من أمانة . لقد حملنى الشعب أمانة حكمه وأمانة ثقته ، ثقة أمة عظيمة وضعت في عنقى . فسأعيش لشعب أمننى على عرش وصاغت بولاء وحب ومنحنى ثقته ولم يسألنى أن أمنحه شيئاً ؛ يارب إن الشعب آثرنى بفضله وكان في مكنته أن يجاملنى ويميزنى ثم يسألنى عن برنامج ونظام حكمى الجديد ليمنحنى البيعة والثقة أو لينعمها عنى ، ولكن ماذا أفعل وقد غلبت الشعب سجاياء التى فطر عليها والتى هى أصل فى تكوين النفس العربية الأبية ؟ رب إنى أسير تلك الثقة وأسير تلك البيعة فأصلح من أمرى ووفقنى الولاء لهذا الشعب وهى لى ما أتمكن به من رد جميله واجعلنى عبداً وخادماً أميناً لحقوقه التى حملنى تبعاتها راضياً مطمئناً .

لقد عاش سعود ولا يزال متجاوباً مع شعبه في هذه المشاعر والأحاسيس التى بدأ بها ولاية العرش فكانت بمثابة عهود قطعها على نفسه لتكون فاتحة عهده المجيد وأساس نظام حكمه الذى سيلمس العالم أجمع مقدار ولائه لشعبه بقدر ما تنفذ من

تلك المواقف والمعهود التي ألزم بها جلالته نفسه في بياناته التي أذاعها على الشعب والتي يقرر فيها أنه سيعيش للشعب عاملاً وربّه بين عينيه ، يشهد بذلك بيان جلالته بمكة حين خاطب الشعب بعد طوافه بالبيت العتيق وأمّ المسامين في المسجد الحرام .
قال جلالته :

بيان جلالة الملك سعود إلى أهالي مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأبنائي جيرة المسجد الحرام وخدام بيته وأبناء شعبي الكريم :
في هذه الليلة التي ألقاكم فيها بعد أن لبي عاهلنا العظيم نداء ربه تغمده الله برحمته ، وألقيت على كاهلي أعباء الملك وشرف خدمة وحماية الحرمين الشريفين .

في هذه الليلة التي شاهدت فيها بعيني وسمعت بأذني ولست بشعوري ما تكنه صدوركم وما تنطوي عليه نواياكم من المحبة والذكرى الطيبة لولي أمركم الراحل ، ومن الإخلاص والولاء لخليفته في ولاية أمركم .

في هذه الليلة المباركة توجهت إلى الله تعالى ودعوته وأنا أطوف بيته العتيق — أن يمدني بعون من عنده فيما تفضل به علي من ولاية الأمر في بلده الحرام ، وما أولاني من شرف خدمة الحرمين الشريفين وضيافة الوافدين إليهما من مختلف أقطار العالم ، وتوجهت إلى الله تعالى وملء نفسي نية حسنة أن يضاعف الله لي من هذه النية ويربني الحق حقاً ويرزقني اتباعه ويربني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه ، وتوجهت إليه تعالى أن يمنحني القدرة على شكر نعمته بطاعته في أوامره ومراقبته في خلقه وسألته تعالى أن

يجعل لى منكم خير عون على طاعته . هذا ما سألت الله إياه وتحدثت به إليكم من باب الحديث بنعمة الله ولأعاهدكم عليه باذلاً كل جهدى فيه جاعلاً نصب عيني وأنا أنظر فى شئون الدولة . أننى أراقب الله كأننى أراه فإن لم أكن أراه فإنه يرانى . فى هذه الليلة المباركة أحب أن أسدى إليكم خالص شكرى وتقديرى لمواطفكم الكريمة وولائكم الصادق وأرجو الله المحيب لسأله أن يستجيب لما سألته ويعيننى على القيام بأعباء الحكم على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله . وإنى سأولى بلدتكم المباركة هذه أعظم عنايتى وأكبر اهتمامى كى أومن بمساعدتكم والتآزر معكم للوافدين على بيت الله الحرام من مشارق الأرض ومغاربها ما يسهل عليهم قضاء الفريضة فى راحة وصحة وكرامة نسأله تعالى أن يسدد خطواتنا جميعاً ويوفقنا لما فيه خير المسلمين .

فانظر معى أيها القارىء العزيز وتمعن فى قول سعود فى بيانه بمكة (وتوجهت إلى الله تعالى وملء نفسى نية حسنة أن يضاعف لى من هذه النية ويرينى الحق حقاً ويرزقنى اتباعه ويرينى الباطل باطلاً ويرزقنى اجتنابه وتوجهت إلى الله تعالى أن يمنحنى القدرة على شكر نعمته بطاعته فى أوامره ومراقبته فى خلقه ، ثم يقول جلالتة (إننى أراقب الله كأننى أراه فإن لم أكن أراه فإنه يرانى) ومن هنا تتبين أن سعوداً صافح شعبه عقب مبايعته له مؤكداً أن شريعة الله هى الحكم بينه وبين الرعية وهى الدستور الذى على سننه سيسير كل فرد فى الأمة حاكماً ومحكوماً . . .

تَمَاس

لقد قدمت الملك في صورة من حقائق تتمثل فيما أشاد من مشاريع الإصلاح والتجديد في أرجاء الجزيرة ، وفيما نشر في أسفاره ورحلاته عن مكانتها وآمالها —
فأى آمال وأى أمانٍ لشعب وليه وقائده سعود ؟

لا شك أنها آمال بعيدة المدى وأمانٍ عراض . إنها آمال الشعب العربي . .
وأمانى الشعب المؤمن برب واحد وشريعة واحدة ، قدوته رسول كريم غير وجه
التاريخ في بضع سنين لم تتعد ربع قرن ، أقام فيها دولة العدل قوية البنين ثابتة
الدعائم فترك رجالاً غزوا العالم ففتحوه ، وامتدت بهم امبراطورية الإسلام ،
فحكموا ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، وهذا هو الشعب الذى بنى أسلافه هذه
الأنجاد ، ورفعت أعلام مجدهم في غرناطة وبلاد فارس وفى أغلب بلاد الغرب
وفى كل بلاد الشرق ، يريد الآن أن يحدد مجده ويركز مرة أخرى أعلام نصره
فى آفاق العالم ، ولا يكون للشعب ما يريد إلا بقيادة حكيمة وعزم لا يثنى وإرادة
فى الحق لا تلين وإيمان بالله مكين .

الصحافة

الصحافة يا مولاي هي القوة الرابعة التي تعبر عن رأى العام وتساهم بنصيب وافر في تحقيق الصالح العام ، فالدولة تقنن وتنفذ والصحافة ترشد وتوجه والشعوب حكماً ومحكومين في أشد الحاجة إلى التوجيه والإرشاد قبل التقنين والتنفيذ ، وبذلك أعطت دول العالم وهيئاته التشريعية حقوقاً مكفولة بكل التسهيلات اللازمة ليستطيع الصحفي تأدية رسالته وليس هناك ما يخنقه من إبداء نقده ورأيه حراً صريحاً في غير مجاملة للحاكم أو محاباة للمحكوم .

وإذن فالصحافة هي الميزان الذي يقوم بين الحاكم والمحكوم ليرجح كفة أحدهما على الآخر ، والإسلام قد منحنا حرية الرأى ، وحق البحث عن الصالح العام وحق النصيحة للحاكم والمحكوم . كما أن الصحافة تقوم بأخطر دور في التقدم والرقى لأية دولة تريد أن تأخذ بأسباب النهوض ، ذلك الدور هو الدعاية التي أصبحت الأداة الناجحة التي تقاس بها مدى ما وصلت إليه الأمم من رقى وتقدم وأخذ بأسباب التطور العالمى ، لذلك يا مولاي يأمل الشعب أن تمد إليه يد العون والرعاية حتى تقوم في المملكة السعودية صحافة قوية يتكفل حولها الرأى العام ، وتكون منبراً عالمياً للدعاية والنشر عن الإسلام ، وعدالته الاجتماعية ، وأجناد تشريعه السامى ، وحكمة إقامة حدوده .

نعم يا مولاي تريد صحافة تخدم الإسلام بالبحث العلمى الصحيح والنشر

الحر الزيه فتناقش وتجادل وتحاجج ولا تغلق أبوابها أبداً في وجه ملحد أو جائر ، بل تناقشه وتقدم له الأدلة والبراهين المقنعة من صميم الشريعة وسماحة الإسلام وحكمة عدالته — قال تعالى : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) — فإن استطاعوا أن يقدموا للكفر برهاناً قدمنا للإيمان براهين . يريد الشعب يا مولاي صحافة تنقد الملك إن أخطأ وتنقد الوزراء إن أساءوا ، وتنصف الملك والوزراء عندما يحسنون وتطالب الشعب بالتطور الواجب وبالتقدم الذي ينبغي أن يبلغه .

نعم يا مولاي زيد تكوين رأى صحيح سليم قوى في الجزيرة المجيدة ، دستوره القرآن وهديه السنة وقودته محمد وخلفاؤه الراشدون .

نعم نطالب بصحافة سعودية تأخذ مكانها بين صحافات العالم . زيد في كل دولة من الدول مكتباً للصحافة السعودية يقوم بالنشر والإعلان والتعريف بالجزيرة وما وصلت إليه من تقدم وبالإفصاح عن رسالة عاهل الجزيرة والداعي لدين الله ، وتقديم البحوث المدروسة عن عدالة الإسلام وعن رأى المنادى بتنفيذ أحكام الإسلام في كافة بقاع العالم الإسلامى وتوضيح فلسفة الحكم في الإسلام وفلسفة الشورى — قال تعالى : (وشاورهم في الأمر) وقال تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) .

فبتقدم الصحافة في بلادكم وبتعدد أبنائها في العالم كله تستطيع أن تحقق صورة كاملة لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ولقوله سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .



حضرات ممثلى الصحافة فى المملكة العربية السعودية

زید ونحن مغتبطون بـصور البلاد السعودية جريدة يومية فى عهدكم السعيد فى كل عاصمة من عواصم بلادكم ، كما نأمل أن تنهج جريدة المدينة المنورة نهج أختها جريدة البلاد السعودية فتصدر يومية بعونكم . و نرجو أن تصدر قريباً جريدة يومية فى الرياض ، وعشرات المجلات الأسبوعية وعشرات المجلات الشهرية ونأمل أن تقوم الطائرات السعودية كل صباح إلى كافة البلاد الإسلامية تحمل إليها الصحف السعودية . تلك يا مولاي قطرات من آمالنا فى الصحافة ونرجو أن تتحول هذه القطرات بفضل عونكم ورعايتكم إلى مياه غامرة تنساب فى أرجاء الجزيرة العربية فتنتشر بها البحوث الدينية وأنواع العلم والمعرفة على اختلاف ألوانها .

الإذاعة

أصبحت الإذاعة يامولاي لا تقل خطورة عن الصحافة لتقدم الشعوب والأمم ، فهي القوة التي تربط العالم كله ببعضه ببعض وتجمعه أسرة واحدة يحدث أفرادها بعضهم بعضاً بما يجيش في صدورهم ويعتمل في نفوسهم من أمان وآمال في خلق مجتمع إنساني كريم على البر والتقوى وتعاطف وتراحم وينادي بها منبع الإنسانية والرحمة والسلام .

والإذاعة العربية السعودية هي التي يتجمع حولها المسلمون كافة باعتبارها إذاعة لشعوب العالم الإسلامي قاطبة .

إن كل فرد في العالم الإسلامي يرقب ذلك اليوم الذي يُنصت فيه إلى صوت الإذاعة الإسلامية الصادرة من مهبط الوحي قوية واضحة مجلجلة رنانة ، فيغتبط غبطة تسمو به إلى عالم روحى . ولكن ذلك لن يكون إلا إذا فتح منبر الإذاعة السعودية على مصراعيه ليصدر عنه الرأى الحر ويرتفع إلى الأثير من خلاله النقد والتوجيه الذى لا تقيد قيود باهظة . فيصدر عن الإذاعة السعودية الرأى المعارض المتطرف كما يصدر عنها الرأى المعتدل الحكيم بالرد عليه . ومن ثم تصبح الإذاعة السعودية منبراً للتنافس وصرحاً للحرية في هذا العالم المكبل . وبذلك نضمن للإذاعة السعودية مستمعين في كل أنحاء العالم ، ومحدثين وكتاباً يتعرضون لجميع نواحي الحياة فيرسمونها على صورتها الحقيقية ، وللمسلمين هدياً ينير لهم الطريق إلى النور والعظمة الإسلامية الحقمة والحياة الحرة التى يقرها لهم دينهم الحنيف . إلى جانب هذا كله ستكون الإذاعة مدرسة إسلامية كبرى للبيت الإسلامى



الملك سعود الأول أمام الميكروفون

والنشأة الصحيحة التي يرتضيها لبنيه ، مدرسة للأخلاق الإسلامية والعادات السامية المتطورة مع الزمن ، حتى يعلم العالم أجمع أن ليس في الدين الإسلامي الحنيف من الحدود والضعف ما تقف أحكامه موقف التعارض مع النهضة والمدنية الراقية . وإن هذا الدين لم يدع منهجاً من مناهج الحياة في جميع صورها المختلفة إلا وضع له من الأسس والمبادئ المرنة ما ينظمه وييسره إلى أبعد الحدود الممكنة . وليعلم العالم أجمع أن التشريع الإسلامي الحنيف هو الدستور المرن المتماusk الذي ينظم حياة الناس جميعاً بطريقة تكفل العدالة والحرية والمساواة لأفراد الشعب العالمى وجماعته وترسم لهم نظاماً قوياً لا يشوبه ضعف أو خلل . عندما يفهم العالم أجمع الدين الإسلامى على حقيقته وعندما يفهم التشريع الإسلامى فهماً صحيحاً فسيدرك ولا مرأ أن التشريع الإسلامى هو الدواء الناجع الوحيد للقضاء على جميع أمراض العالم القانونية والاجتماعية والاقتصادية . . . الخ . . .

ولن يفهم العالم هذا كله إلا إذا ارتفع صوت الإسلام القوى حراً صريحاً وانحأ من معقل الإسلام قائلًا : (هذا هو الإسلام) .

احتعلم

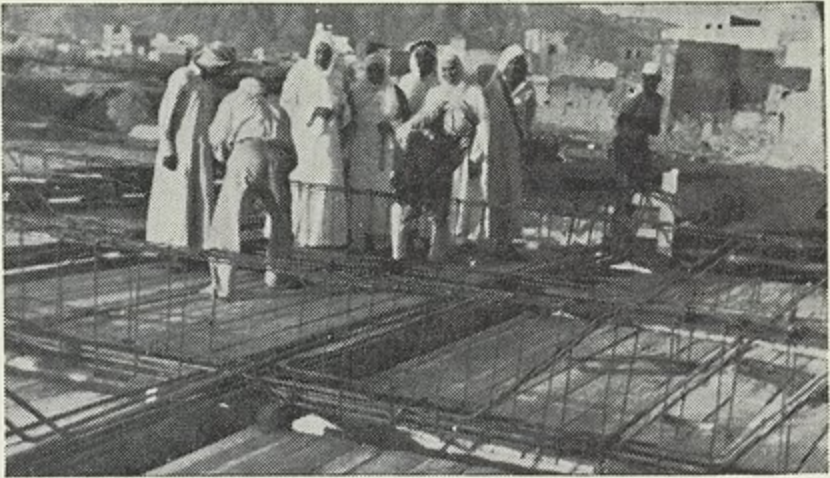
الإسلام دين العظمة السامية الذي جاء بسلاح البحث ، وأعطى الفرد حرية كافية لإبداء رأيه في أية مسألة من مسائله . ولن يصطدم الباحث في الإسلام بصخرة الجود والتقليد ولذلك كان طلب العلم فريضة على كل شخص مسلم يحارب الجهل والجهلاء ويرفع من قيمة العلماء وطلاب العلم يقول محمد صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ثم بين الفرق الشاسع بين الإنسان عالماً وجاهلاً فيقول « فضل العالم على الجاهل كفضلي على أدناكم » .

ولن ينكر التاريخ أن أول من حمل مشاعل النور لهدى البشرية إلى العلم والبحث والمعرفة هم رجال الجزيرة العربية الذين آمنوا بالله وفقهوا رسالة محمد مؤمنين بأن السعادة لا تتحقق إلا للثقف متعلم يدرك واجبه عن طريق المقاييس العلمية والمنطق السليم ، ويؤكد محمد — ألاسعادة لهذا العالم إلا بالقضاء على الجهل قال عليه الصلاة والسلام يشجعنا على قطع دابر الجهل والقضاء عليه قضاءً كاملاً : « من كان له ثلاث بنات فعلمن وأدبهن دخل الجنة » .

فالشعب يطالب باسم الإسلام الذي تعزه وتسكفح في سبيل رفع أعلامه وبمحمد الذي هو قدوتك وبالله الذي نادى محمدًا بقوله : — (اقرأ) — فأجاب (ما أنا بقارئ ؟ . .) — قال سبحانه (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) . بذلك الحق الذي تعيش في ظلال عرشه وجلال نوره وهديه . يطالبك الشعب بآماله الواسعة الكبيرة في نشر العلم في بلاد العلم والنور في أرض النور وماحولها

من أرض الجزيرة المباركة بإنشاء رياض أطفال في أنحاء مدن الجزيرة وقراها ،
وتعميم التعليم الابتدائي وإصدار قوانين تجعله تعليمياً إجبارياً ينتظم كل أفراد الشعب ،
وتعم المدارس الثانوية بمراحلها الكاملة في المدن والقرى بحيث لا تضطر هذه
الجموع من الشباب إلى مغادرة مدنهم للأقامة في مكة لاتمام هذه الدراسة كما هو
حاصل الآن ولعل هذا من أقوى الوسائل التي تشجع الأبناء وأولياء أمورهم على
مواصلة دراستهم وإعداد الطلاب للدراسة الجامعية .

هذا مع تزويد هذه المدارس الثانوية وإعدادها لبحث الدراسات العلمية فيها
وتعديل البرامج تعديلاً يتفق والتطورات العلمية التي يحتم علينا الدين الإسلامي
أن ندرسها بتعمق لنفيد منها .



مبنى المدارس الثانوية بمدخل المدينة المنورة

كما يجب التوسع في برامج التعليم الديني توسعاً يمكن الطالب من البحث
والمناقشة والاعتقاد عن رأى والاعتقاد عن معرفة لأن الإسلام دين الحياة ، الحياة
التي يتسع منطقتها كل بحث مادي ويحتمل بقوة تمكنها كل رأى روحى . ولن يعجز
الدين أبداً عن إقناع متشكك كما لن يضل فيه باحث فهو البحر في أحشائه الدر

كامن والنور لا تطمسه ظلمة ، والعلم الرباني الذي لا تغلبه ولن تغلبه حدود العلم البشري ، فيجب أن نجدد في برامج التعليم الديني وندخل فيها علم الفلسفة وعلم المنطق وعلم الكلام ، يجب أن نعرف أبناء الجزيرة أسباب إلحاد الملحدين بالتحجج والبراهين القاعّة في جانب المؤمنين ، ويجب أن ندرس في مدارس الجزيرة في كافة مراحلها فلسفة الأديان وعلم التصوف وما إليه .

ونعتقد أن الإسلام يحتم علينا أن ندرس حاضر جميع دول العالم وماضيها ونظام الحكم والمجتمع فيها وأماجد رجالها وأسباب عثراتها وبواعث تقدمها ، وتاريخ التطورات العلمية والسياسية فيها ثم نقارن بين ما وضعت الشريعة من خطوط سليمة وما قام في تلك المجتمعات من نظم ، فبتلك الدراسة والمقارنة تستطيع الأمة العربية الحكيمة بشبابها الحديث تحت رعايتكم وعونكم أن تقدم للعالم بحوثاً ونظماً وقوانين كلها مستمدة من سماحة شريعتها الحكيمة وسنتنا الرشيدة ولن نجد أبداً عدالة تغلب عدالتنا ولن نجد علماً يغلب علمنا وبحوثنا وتقدمنا إن أخذنا علوم الغرب فبلورناها تحت منظار فلسفة الإسلام ودعمناها بجليل حكمته الربانية واستعملناها بما رسم الإسلام .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : (نحن معشر الأنبياء لا نورث درهماً ولا ديناراً وإنما نورث العلم ومن ورث العلم فقد ورث خيراً كثيراً) فالعلم نحن هداية والعدالة الاجتماعية نحن واضعو أسسها وحياة الروح نحن أربابها وحياة السيف نحن جندها . وسفينة التقدم نحن ربابتها .

ياسعود ، إن الرجل العظيم الذي يحمل مكارمك ويرفع فوق هامته أمجادك لا يرضى أبداً إلا أن يكون ملكاً لشعب لا جهل فيه ، ولا تواكل ، ولا خمول بين أفراده . فأبوك واضع اللبنة الأولى ليقظة هذا الشعب فتمم ياسعود بناء المجد . لأن فيك آمال الشعب وأمانه فارفع فوق ربوعه أعلام العلم ، وافتتح في كل حين مدارس جديدة تستوعب أبناء الجزيرة العربية وغير المناهج ، وجدد النظم التعليمية ، فالدين سمح ، وعلمناؤه بحور لا يضرهم جدل ، ولا يضعف رأيهم

نقاش ، بل الغلبة دائماً ستكون لهم لأنهم أصحاب الحق ، وحفاظ النور . لن يرضى الشعب ولن يكتفى منك بتعميم التعليم الابتدائي والثانوى وتغيير برامج ومناهجه ، بل من آمال الشعب وأمانيه أيضاً أن تكون له جامعة بمكة المكرمة ينتدب لها أساتذة أكفاء من جامعات الشرق ، ومن ناحية أخرى أن يُبعث من أبناء الجزيرة العربية شباب متعلم إلى بلاد الغرب ليحمل أرق الإجازات العلمية ويزود بعلم غزير يؤهله لشغل الكراسى المختلفة فى جامعة مكة المكرمة بجدارة وقوة ، وهنا يحمل رسالتك رجال من أبناء شعبك ليحققوا الأهداف السامية التى اعتقد أنك تتمنى تحقيقها لشعبك السائر نحو النور والعرفان .

إن قيمة الحاكم من قيمة رعيته فرقة مكانة الشعب بين الشعوب هى رفعة مكانة الحاكم بين الحكام . وشعبك — وكله وفاء لك — حريص على أن يتقدم مقعدك مقاعد كل حكام العالم ، فضع له الخطوط التى يسترد بها مكانته بين الأمم وابعثه من جديد ، واعمل على أن يتقدم بعلمه ومعارفه صفوف العالم .

فافسح له طريق العلم واسهر عليه حتى تجنى طيب ثمره . يوم تجديا مولاي كل من حولك من مستشاريك شباباً سعادياً ورجالاً أفذاذاً فى الرأى وفى القانون الدولى وفى التشريع والتقنين الإسلامى الذى هو شرع حكمك وصراط حياتك ، فهذه هى السعادة التى لا تحصى بمقاييس .

ولست قيمة الأمم بكثرة عدد أفرادها ، ولكن بعدد المتعلمين فيها . فيوم غزا محمد العالم بمجنوده كانوا قلة اجتمعت على رسالة علمها الله نبيه ، فعلمهم إياها ، وعلى نور معرفة وإيمان أودعه الله صدر رسوله ، ففقههم الرسول به ، فبفقههم وبعلمهم وإيمانهم قاموا ضد الباطل والجهل قومة رجل واحد فقضوا بوحدتهم على خزايا الجهل وعار الكفر فى الأرض ، وأقاموها شريعة سمحاء تسد خطاهم إلى النصر مؤمنين بما علموا موقنين بما عرفوا مخلصين لما حفظوا . تلك الأمة العظيمة المتفهمة كان بعثها من أرض الجزيرة من عند كعبة الله من عند حرم

نبيه ، فلا يستبعد أن تبعث مرة أخرى إن وجدت طريق العلم بين يديها ممهداً وأبواب البحث تحت عينها مفتوحة . .

قال الرسول وهو قدوتك (النساء شقائق الرجال) ولن تكون أمة إلا بأمهات رجالها ، فالأمومة العربية وبعثها مسئولية خطيرة بين يديك ، وتعليم المرأة رسالة واجبة الأداء وغاية لبعث الأمة العربية المجيدة ، ولقد نزعتم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم امرأة عدداً كبيراً من النساء وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا من نفسك يوماً نتعلم فيه العلم ، فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم — يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع لتجتمع عليه فيهما النساء فيتلقين العلم عن رسول الله . فمن أمانى الشعب أن تنشأ للبنات مدارس في جميع أنحاء المملكة على أن توضع برامجها بأيد أمينة تقوم بتعليم المرأة في حدود التربية الإسلامية ومكارم الشريعة الحكيمة ، فإن طالب الإسلام بتعليم المرأة فقد وضع أسساً لتربيتها ونظاماً لتأدية رسالتها في الحياة . ففي ظل ما شرع الإسلام وقنن من حقوق للمرأة ننشئ لها المدارس ونعلمها لأن المرأة المسلمة قد شاركت برأيها وبكفاحها في إقامة الحق ودولته تحت زعامة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يكون من أمهات المؤمنين مدرسة كبرى تتولى نشر الفضيلة وتشارك في أن يشيع التعليم في ربوع الجزيرة ففقه صلى الله عليه وسلم عائشة في علوم الدين حتى تعمقت في دقائق الأصول والفروع فكانت الأستاذة الأولى في علوم الرواية والتفسير والفقه وسائر علوم الشريعة حتى غدت مرجعاً لأجلة علماء الصحابة رضوان الله عليهم . فآمال الشعب يا سعاد أن تبعثه يأخذ من مناهل العلم فهي معقودة عليك

وأملنا منك أن تحققها ولن أنسى يوم قلت وأنا مائلة بين يديك أشرح لك
أمانى الشعب فيك وكانت تلك الكلمات تخرج من بين شفقتك وكأن قلبك
هو الناطق بها - (إنها أمانى وآمالى قبل أن تكون أمانى الشعب
وآماله) - إنها أمانى يغلى بها صدرى وسأعمل جهدى لتحقيقها . وإنه
من الخير الذى نشكر الله عليه معشر المسلمين أننا ابتدأنا نشعر بأخطائنا فى
الماضى وتقديرنا نحو دولتنا الإسلامية ؛ وذلك هو الطريق الوحيد الذى
يجدد فىنا روح العمل لها والعيش من أجلها ولا شك أن العلم هو الطريق
الوحيد لاسترداد مكانتها فى العالمين .

تلك هى العبارات التى لا يزال رنينها يملأ سمعى فيزيد ثقى بأنك محقق
آمال شعبك فيك ، ولن يكون التعليم كما يريده الشعب ويأمله إلا باحتجاز
نصيب وافر من الميزانية ينفى بجميع مطالب الشعب لتحقيق ما يصبو إليه
من آمال فى التعليم . فالأمة عندما تريد أن تمشى فى ركب الحضارة
وتتربع على المقعد الذى تطمح أن تتربع عليه بين الأمم تخص التعليم بأضخم
قسط فى ميزانيتها لأنها ترى التعليم الطريق الوحيد الذى تتفق به الأذهان
وتنمو به مقومات العمران والتصنيع والإنتاج القومى ، فبازدياد التعليم نكثرت
العقول المفكرة والأيدى العاملة وتتيقظ الغيرة القومية التى تتعدد بها
أسباب التقدم . وهذا يعنى تخصيص ميزانية سخية للتعليم اليوم ليوذى
بطبيعته إلى تنمية الاقتصاد القومى وبالتالى إلى تضخيم الميزانية فى المستقبل
القريب . ولسنا نعمل بهذه التضحية البسيطة على تدعيم اقتصاد البلاد
وإمكانياتها فى هذا الصدد فقط ، وإنما نعمل أيضاً بهذه الوسيلة على الهوض بكل
مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية والسياسة والحيوية فى البلاد .

الخخدمة الاجتماعية

من آمال الشعب يا مولاي أن تسخر كل قوى التفكير في تحسين حالة الطبقات الفقيرة بطريق أسلم وأكرم من المنح والصدقات ، فشريعتنا حين تدعو إلى بذل العون للفقير فهي تدعو ذلك الفقير للعمل وتبغض إليه التواكل . قال عليه السلام : (اليد العليا خير من اليد السفلى) - وقال أيضاً : (السؤال ذل ولو أمن الطريق) . والنضوج الاجتماعي الذي تطورت إليه المجتمعات الحديثة أدى إلى تنظيم الإحسان - وأرق ما وصلت إليه الدراسات الاجتماعية في ذلك الباب أن يعان الفقير بالمال على أن يقدم له من الإرشادات ما يستطيع به إستغلال ذلك المال في طريق إنتاجي عن طريق الاتجار أو العمل المهني - ما دام طالب العون قوياً معافاً وقادراً على العمل .

وأما العجزة والمقعدون بسبب الكهولة والأرامل والأيتام الصغار - فيجب أن تنظم طرق الإحسان بالنسبة لهم عن طريق تقدير معاشات شهرية - وأستطيع أن أضع تحت أنظاركم عدة مشروعات يخصص إيراد إنتاجها لهؤلاء المقعدين مضافاً إليه ما يقرر لذلك الباب من ميزانية الدولة ، ولن تخرج تلك المشاريع عن كونها تنظيمياً وتنمية وتحسيناً وإنشاء لما تصلح به حقوق هؤلاء الفقراء التي تنفق بغير حكمة . والشريعة لا تمنعنا أبداً من تجريد وتحسين ما ينتج خيراً للمسلمين وخاصة أولئك الذين هم عيال الله وأمانة الله في ضمائر الولاة وأعناق القادرين من المسلمين .

أعتقد أن ما يذبح من الأغنام في موسم الحج لا يقل عن نصف مليون رأس

من الغنم ، ونصف لحوم هذا العدد يرمى في الطرقات وفي رمال منى وعرفات ومزابل مكة ، فنستطيع أن ننشئ جلود هذه الأغنام مصانع للدبغ تستوعب عدداً كبيراً من هؤلاء الفقراء للعمل بها وتدر خيراً كثيراً من تصديرها إلى الخارج ، كما يقام لأصواف هذا العدد الضخم من الأغنام مصانع غزل ونسيج ، يعمل بها كثير من الفقراء العاطلين ، كذلك كمية اللحوم التي تدفن في الأرض لتصبح تراباً وهي نعمة يجب أن نحافظ عليها ، والمحافظة على النعم هو أبلغ شكر عليها للخالق سبحانه .

فإذا لو أنشئت مصانع لحفظ تلك اللحوم وصرفها بعد ذلك للفقراء كغذاء محفوظ ؟

السياحة

من آمال الشعب إنشاء مصلحة للسياحة بالبلاد المقدسة تكون لها مكاتب دعاية في جميع بلاد العالم الإسلامي .

فالبلاد المقدسة تعتبر أجمل مشق في العالم لو عينا بتجميل جبالها وتوفير وسائل النقل والراحة فيها . والطائف مصيف على ساحر ، فعلى الحكومة أن تبذل جهداً كافياً في تخفيض أجور الانتقال بالجو والبحر إلى البلاد المقدسة في جميع فصول السنة ، وإقامة فنادق مريحة ما بين جدة ومكة تصلح كمشات . فالمسلم يتمنى ألا ينتقل إلى مشات أجنبية ويفضل دائماً أن ينتقل إلى مشات عربية وخاصة لو كانت في البلاد المقدسة وتوفرت فيها سبل الراحة والمتعة إذ سينال الحسنيين ، قربه من البيت الحرام وإمكان زيارته ولو مرة في كل أسبوع ، كما يتمكن من زيارة الحرم النبوي وذلك بتسهيل الحكومة لوسائل الانتقال وتخفيضها لمصاريفها . إن مصلحة السياحة تستطيع أن تجعل الأسفار مستمرة طيلة العام بين بلاد المسلمين جميعاً وبلاد الله الحرام . فلا تقتصر حركة النشاط الاقتصادي والسوق التجارية على موسم الحج بل تستمر طيلة أيام السنة .

إن (لبنان) ليست أجمل من الطائف في الصيف إذا جملت الطائف وقامت فيها بلدية قوية تجمل طرقاتها وتنشئ فيها البساتين العامة والفنادق الفخمة وبذلك نستطيع أن نجعل في المملكة السعودية مشاتياً أجمل من مشاتى الأقصر وأسوان ومصيفا أجمل من مصيف رأس البر والاسكندرية ولبنان .

إن المهندسين الذين أنشأوا طريق الكورنيش بالإسكندرية يستطيع مثلهم أن ينشئ ذلك الكورنيش في جدة فيصبح ثغر البلاد المقدسة جنة للمصيف .

إن الجزيرة العربية هي التي ابتدعت أسواق الأدب والشعر وعقد المؤتمرات للمساجلة الأدبية والعلمية . فالشعب يرجو أن تعود تلك الأيام الزاهية إلى الجزيرة فتقام مؤتمرات للأدباء والشعراء ومسابقات للعلماء وتصبح البلاد المقدسة مركزاً عالمياً من مراكز السياحة العالمية .

أعز ما يميز به المسلمون هو السير في وهاد الطريق المؤدى إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم — والله در طريق يطوف بالنفس المسلمة في قدسيات ذكرياته فيصور لها أن محمداً ، وصاحبه ، اتخذوا هذا الطريق ليصلا منه إلى أنصار الحق ومشاعل النور ومؤسسى دولة التوحيد في طبيته المباركة .

إن في ذلك الطريق لذكريات غالية . ذكرى الهجرة وذكرى العودة بعد الهجرة عام (الحديبية) وذكرى بدر الكبرى . . . فكم يحس العبد بجلال تلك الذكريات عند ما يسير في طريق تشرف بسير الرسول الأعظم والصحابة ، لذلك كله نريد أن نجمل ونعبّد طريق المدينة تجميلاً وتعبيداً يتفق وجلال ومجد ما يحمل من ذكريات تاريخية تكفى لو أقننا فيها ما يخلد ذكرى وقائع المجد لإنشاء مصلحة السياحة .

لذلك يجب أن يكون في طريق المدينة البرى من وسائل الراحة والإغراء ما يرغب المسافر ويحبب له أن يسلك طريق البر ويفضله على طريق الجو ، فنقيم الاستراحات الحديثة المزودة بكامل أدوات الاستجمام والراحة — من مطاعم ونزل للمبيت . كما نأخذ في حفر الآبار وإنشاء المتنزهات بجانب كل استراحة وتنظيم القرى النموذجية للبدو على ضفاف الطريق حسب التطور الحديث في إنشاء القرى

النمذجية ثم نجعل نظام إنشاء المدارس في هذه القرى على رأس الطرق لتكون رمزاً إعلانياً عن انتشار النهضة العلمية في بلادكم العزيزة .

أؤكد لك يا مولاي أن في الاستطاعة تجميل طريق المدينة بأكثر من ذلك ، بأن نقيم فيه بساتين الفاكهة النادرة الغالية — ففي أكثر بلاد العالم الصحراوية عندما نطالع (جغرافية) العالم نجد الأدوات الحديثة وعلوم الزراعة الحديثة قد خلقت من الصحارى جنات ومن الجبال مزارع مثمرة . ونحن أقدم أمم العالم في التفكير والإشياء والإنتاج والاكتشاف والاختراع . . .

آمالنا في سبيل الحج

إن من أحب الآمال إلى قلب المسلم تيسير سبل المواصلات للحجاج عند قيامهم للتروية والخروج من مكة إلى عرفات ثم إلى المزدلفة ومنى ، فلقد لمست خلال زيارتي المتكررة للبلاد المقدسة تلك الصعاب التي تعترض طريق الحجاج .. فالزحام الشديد في طريق مكة — عرفات واشتداد الحرارة وعدم تنظيم المرور ، وتزاحم الحجاج في المزدلفة ثم حول العقبات في منى وعدم معرفتهم لمضارب خيامهم ، كل هذا يكلف الحاج كثيراً من الجهد والمشقة بل قد يؤدي في بعض الأحيان إلى إزهاق كثير من الأرواح الطاهرة .

ولعل علاج هذه الصعاب ليس بالأمر العسير ، لاسيما وإن عاehl الجزيرة هو مانعرف من مضاء العزيمة وثاقب الرأى وتقديس الشعائر والتفانى فى العمل على مافيه تيسير الحج ومناسكه للمسلمين جميعا .

وإنى أورد فيما يلى آرائى فى هذا السبيل وهى أمل يبحش فى نفسى وأرجو أن يتحقق كغيره من الآمال فى عهد الملك التقى الحريص على راحة المسلمين سعود الأول .

فالخطوة الأولى تكون بتنظيم حركة المرور عند الإفاضة من عرفات وذلك سهل ميسور إذا استطعنا أن نجعل السيارات تقوم من أربع طرق بدلا من ذلك الطريق الواحد الذى تقوم منه الآن ، وبذلك يمكن أن نتجنب الزحام الشديد الذى نراه فى ساحة عرفات عند بدء قيام السيارات ، والذى يتصل طوال فترة

المناسك ، على ألا تقوم سيارات أى منطقة من هذه المناطق الأربع إلا بعد انتهاء خروج سيارات المنطقة التى قبلها على أن يكون سير السيارات بعد خروجها من ساحة عرفات فى صفين متقابلين وبذلك يمكن أن يصل الحجاج إلى المزدلفة بعد نصف ساعة ، فإذا ما بلغوا المزدلفة وقفت سيارات كل منطقة فى مكان معين لها لمدة نصف ساعة أخرى يتمكن الحجاج خلالها من جمع الجمرات والصلاة حسب السنة ثم يعودون إلى سياراتهم فتنتقل بهم على الطريق إلى منى لتحل محلها سيارات أخرى آتية من عرفات وبذلك نتجنب ذلك الزحام الذى نشكو منه فى المزدلفة .

والمسافة بين المزدلفة ومنى لا تتجاوز أربعة كيلو مترات أى يصلها الحجاج بعد عشر دقائق حيث توجه السيارات إلى أما كن معينة للانتظار بعيدا عن مدخل منى الضيق الذى يشبه عنق الزجاجة وذلك ميسور بدوره إذا وضعنا على كل رتل من السيارات رقما واضحا يميزه ويدل على المكان المخصص لانتظاره .

على أن ذلك يقتضى وجود انطال لاسلكى بين منى والمزدلفة وعرفات لتمكن المشرفون على توجيه السيارات فى عرفات من معرفة حركة المرور فلا يسمحون لرتل من السيارات بالخروج من عرفات إلا إذا كان الطريق يسمح بذلك ، ولا يسمحون كذلك بخروج السيارات من المزدلفة إلا إذا كان طريق منى خالياً لها ، كذلك ينبغى أن توجد فرق للاسعاف الميكانيكى على طول الطريق تتكون من ونشات وعربات لورى لسحب وإصلاح السيارات التى تتعطل أثناء سيرها ، كما يلزم وجود عدد كاف من رجال المرور بسيارات جيب أو موتوسيكلات لتدارك ما عسى أن يحدث من تراحم قبل اشتداده .

بهذا نكون قد عالجنا مشكلة ازدحام السيارات . وننتقل بعد ذلك إلى ما يلاقيه

الحجاج في منى ، وأول ما يصادفنا في هذا الموضوع هو عدم معرفة الحجاج لمضارب خيامهم إذ أنهم يهرعون حال وصولهم إلى رمى الجمرات قبل أن يلفحهم القيث وتشتد عليهم ضربة الشمس فتودى بحياتهم على الفور ، فإذا أرادوا العودة إلى مخيماتهم ضلوا السبيل إليها ولا يجديهم سؤال من حولهم لتشابه مضارب الخيام واتساع الساحة ، ولأن كثيراً منهم يتكلمون باللسنة مختلفة فن باكتانية إلى تركية إلى أندونيسية إلى غير ذلك من اللغات ، ولعلاج ذلك أرى أن تقام أكشاك بها مختصون يجيدون هذه اللغات ليدلوا السائل والضال على مخيمه ، كما أرى أن تقام لافتات كبيرة تبين مواقع الخيام وأسماء مطوفها ويحسن أن يكون ذلك بأكثر اللغات شيوعاً وانتشاراً بين الحجاج ، وأما من لا يجيد القراءة والكتابة من الحجاج فالأصوب أن تعطى له حلقات معدنية مكتوب عليها اسم مطوفه وموقع مخيمه ليسهل عليه الاستدلال ممن يعرفون القراءة والكتابة ، وينبغى كذلك أن يكون بمنى فرق للإسعاف الطبي توزع توزيعاً عادلاً لعلاج من يصابون بضربة الشمس أو بسبب الزحام .

ويبلغ الزحام أشده في اليوم الأول لرمى الجمار في العقبة الكبرى فتضيق طرق منى ومسالكها بالحجيج مما لا يمكن معه الحجاج من أداء المناسك في وقار وطمأنينة وتهيب للعبادة وتصور للعظات وتكاد تذهب الحكمة من هذه المناسك فكان الحجاج يؤدون عملاً آلياً ، وكم من أرواح أزهقت حول العقبات بسبب ضغط تلك الكتل البشرية المترصة يريد كل أن يرى جمراته ثم يعود مسرعاً إلى مخيمه قبل أن تصيبه ضربة الشمس أو قبل أن يداس بأقدام المتراحين فيجب إذن لعلاج ذلك أن يقسم الحجيج إلى فئات لكل فئة فترة تؤدي فيها مناسكها آمنة ثم تخلى مكانها للفئة التي تليها ، ويستحسن أن تكون عودة الحاج بعد رمى جمراته من طريق آخر غير الذي أقبل منه يمكن إنشاؤه لهذا الغرض .

ونعرج بعد ذلك على المشقة الكبيرة التي يصادفها الحجاج وتؤدي إلى وفاة الكثيرين منهم ، ألا وهي ضربة الشمس أثناء رمى الجرات ، وإني أرى علاجاً لذلك أن تقام مظلة كبيرة فوق العقبة الكبرى تمتد على طول الطريق مزودة بفتحات للتهوية لتحول بين الشمس والحجاج أثناء سعيهم لرمى الجرات .

أما العقبات الوسطى والصغرى فمن الممكن إقامة مظلة من القماش تشد بين المنازل المتقابلة في مستوى أعلى طابق منها تزود كذلك بفتحات للتهوية ، وأرى كذلك إقامة مراکز للمراقبة أمام كل عقبة مزودة بجهاز إرسال لاسلكي أو تليفون لتنظيم حركة الحجاج وللإتصال بالمراقبة في منى حتى لا تسمح لفوج بالسمى لرمى الجرات إلا إذا أخلى الفوج السابق له المكان فنتفادى بذلك خطر الزحام الذي يؤدي إلى إزهاق الأرواح .

كما يجب أن يخلو طريق العقبات من السيارات بأن يعد خلفها مكان لوقوفها تنطلق منه ثانية إلى مكة .

وفي العودة إلى مكة يحسن أن تتبع نظام المناطق بمعنى أن تقسم السيارات إلى فئات لا تنطلق إحداها إلا بعد فترة كافية من انطلاق الفئة التي سبقتها .

هذه اقتراحات أقدمها إلى ملك كله تفان في خدمة ضيوف الله الذين يفدون إلى الأراضي المقدسة من كل فج عميق ، وقد عالجت فيها بصفة مجملة مشكلة تنظيم المرور وتيسير تأدية المناسك ، وإني لعلّ يقين تام من أن عزيمته جلالته وحده ليحققان هذه الآمال الكبار التي تتجاوب لا في نفسى فحسب ، بل في نفس كل مسلم في بقاع الأرض . . . وكيف لا وللحج ما له من قدسية ومكانة في نفس عاهل الجزيرة حارس الحرمين وراعى الحجاج .

بنك إسلامي

العالم الإسلامي في حالته الراهنة معرض لخطرين قوين داهيين وهما :
الاستعمار الأجنبي ، والخطر الصهيوني . وكلاهما يتربص للمسلمين ويحاول تحطيم كل مشروع يقومون به . فإذا أردنا أن ننظر إلى الحكومات الإسلامية لنطلب منها العون على حماية المنشآت الجديدة ومساعدتها فإن ذلك غير مجدٍ في أكثر الحالات لأن الغالبية العظمى من هذه الحكومات لا تستطيع - نظراً لعوامل سياسية - أن تتخذ تدابير فعالة في هذا الأمر . فإذا أراد المسلمون في أرجاء العالم أن يسايروا الزمن ويرفعوا مستواهم الاجتماعي فالواجب عليهم هو الاعتماد على أنفسهم ومصانعهم وشركاتهم وأن يتخذوا خطوة جدية لحمايتها . وما هذه الخطوة الجديدة إلا إنشاء مؤسسة أو بعارة أدق بنك لا يقل رأس ماله عن عشرة ملايين من الجنيهات ليكون في وجوده حماية للشركات والصناعات الناشئة ويحول بينها وبين التردى في مهالك الربا الذي تفرضه علينا البنوك الأجنبية .

وإن أجدر بلد يعمل على إنشاء هذا البنك هي المملكة العربية السعودية التي يرعاها الملك سعود .

وقبل أن نتحدث عن المنافع التي يؤديها هذا البنك يجب أن نقف قليلاً لنعرف الأسس التي يجب أن تقوم عليها معاملاته سواء مع الشركات القائمة أو المصانع والشركات التي تنشأ أو معاملاته سواء مع الأفراد أو الحكومات في مختلف بلاد العالم الإسلامي .

ويتخذ لهذا البنك اسم « البنك الإسلامي » أو « بيت التمويل الإسلامي » . يمارس هذا البنك تحقيق أغراضه إما مباشرة وإما بتمويل غيره من الأفراد والهيئات المساهمة ، وفيما يلي أهم الأغراض :

١ — القيام بالأعمال المصرفية التي لا تتنافى مع النظم الشريعة الإسلامية ،
ويقبل البنك فتح حسابات جارية ويقبل الودائع ويعطى سلفا مالية بدون أخذ
أرباح . ولكن يجب أن يدفع المنتفع مبلغ ٣٪ لتغطية المصاريف التي يتكلفتها
البنك في الصرف على الموظفين والإيجارات . الخ ، فإذا زاد شيء من أرباح
البنك ٣٪ في ختام العام المالى يرد ثمانية لمن دفعها . وبهذا لا يكون في الأمر تعامل
بالربا ، كما أن ما يدفعه المنتفع لا يعدو ما أباحه الشرع من إعطاء أجر الكاتب
الذى يقوم بالتحرير بين متعاقدين في دين أو غيره .

٢ — القيام بكافة الأعمال المالية والتجارية والصناعية على اختلاف أنواعها
وتنمية العلاقات بين جميع البلاد الإسلامية .

٣ — إنشاء وتمويل المشروعات التجارية والصناعية والزراعية الخاصة
بالأفراد أو الشركات في جميع البلاد الإسلامية بما لا يخرج عن الشرع الإسلامى .

٤ — القيام بأعمال التصدير والاستيراد وإنشاء مكاتب تجارية .

٥ — إنشاء صندوق للمساعدات له الحق في قبول الهبات والتبرعات وخاصة
من أموال الزكاة وتصرف هذه الأموال في رفع مستوى المعيشة في بلاد المسلمين
عن طريق التعليم العلمى والتعليم الصناعى والتجارى ومساعدة العائلات على تعلم
صناعات منزلية تعود بالربح على من يزاوئها .

رأس المال

أما رأس المال اللازم لهذا المشروع فإنه يجب أن لا يساهم فيه إلا من صفت
نفوسهم لتقديم خدمة خالصة لوجه الله لدينهم وأوطانهم سواء أكانوا فقراء
أم متوسطى الحال أم أغنياء . ولا يمكن أن يتطرق إلى ذهننا أن الخير قد ذهب

من نفوس المسلمين وخصوصاً في أرض النور ومهبط الوحي ، فهي أولى البقاع
بالسبق في عمل الخير ونشر ألويته فوق أقطار العالم الإسلامي بأسره .

ولا بأس أن يكون رأس المال ١٠ مليون جنيه تجمع من ٢٠٠ ألف شخص
من المسلمين بواقع ٥٠ جنيهًا من كل شخص عن جميع الممالك الإسلامية .

مساعدة البنك للمصانع أو الشركات القائمة

ليس هناك ما يحول دون مد البنك يد المعونة لمصنع أو شركة قائمة سواء
أكانت هذه المعونة عن طريق التسليف أم عن طريق المشاركة بشرط أن يتأكد
البنك بواسطة خبرائه الفنيين بعد اطلاعهم على دفاتر وأعمال هذا المصنع
أو الشركة أن هناك أملاً في إنعاش العمل . وعلى ضوء التقرير الذي يقدمه خبراء
البنك تعطى المساعدة بعد أخذ جميع الضمانات اللازمة ومنها الإشراف
على سير العمل .

وبهذا المشروع — مشروع البنك الإسلامي والشروعات التي تنشأ في
أحضانها نتيجة للتمويل — سوف تنتعش الصناعة والتجارة كوسيلة لزيادة الإنتاج
القوى بالبلاد الإسلامية .

وهذه المنشآت سواء أكانت مالية أم تجارية أم صناعية لا تقوى ولا تنتعش
إلا إذا عززتها الحكومات الإسلامية بالمعاونات المالية وبتوجيه سياستها القومية
توجيهاً إسلامياً صادقاً حتى لا تتنافى كل هذه المنشآت الاقتصادية مع نظم
الشريعة الإسلامية .

ولو قلنا — معشر المسلمين — بهذه الخطوة المباركة وقيض الله لهذه
المؤسسة المالية الإسلامية أن تنشأ في عهد الملك العظيم سعود الأول وبفضل

توجيهاته السامية وتشجيعه الفياض ، لو قنا بهذه وأنشئ هذا البنك الإسلامى لأصبح من اليسور أن يقوم كثير من المشاريع الاقتصادية الحكومية والقومية مثل إنشاء مصانع للتمر وتصديره للخارج معبئاً بطرق حديثة وتحسينات على صناعته وحفظه وتصدير كميات كبيرة منه بطريقة تدل على تقدم البلاد المقدسة ووعيا .

كما أنه من اليسور أن تقام مصانع للزجاج والفخار والأواني الصينية ، وكذلك إنشاء مصانع للألمنيوم والنحاس ومصانع للغزل والنسيج على نطاق واسع ، فتنمو بذلك كله حركة التصدير والاستيراد وتنتعش حركة السوق الاقتصادية فى بلادنا ويأتى فى القريب العاجل اليوم الذى نجد فيه المباني قد اتصلت من مكة إلى جدة ، ولا تمر عدة سنوات إلا ونجد الصحراء المترامية فى ربوع الجزيرة قد تحولت إلى عمران زاخر بالمصانع المنتجة المصدرة والمستوردة .

وبهذا كله يتحقق ما يصبو إليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من أهداف إسلامية نحو زيادة الإنتاج الصناعى والزراعى والتجارى ويؤدى ذلك إلى رفع مستوى معيشة الشعب السعودى الذى تسهر — يا مولاي — على رفاهيته وإسعاده والبلوغ به إلى شأو الحضارة العريقة التى قاد بها العالم من قبل حين كان هذا العالم لا يزال يخطو بخطوات وثيدة فى أول الطريق . ولتكن مكة — يا مولاي — المركز الرئيسى لهذا البنك الإسلامى المرتقب إنشاء الله .

البحر

إذا كان العلم والصناعة والزراعة والهندسة والاقتصاد من الأسس التي تقوم على أصولها دعائم الدول الحديثة والرقى بها إلى أرقى مدارج الكمال والعظمة .

نعم إذا كانت تلك دعائم تقوية الأمم والنهوض بها فهناك أمر لا يمكن أن تقوم أمة مهابة حرة تحمي حدودها وترعى عهودها وهي واثقة من التغلب على من يحنث بعهداها إلا إذا كان خلف ظهرها جيش قوى منظم مدرب على أحسن طرق القتال الحديثة ، جيش يصنع لبلاده الاستقرار والسلام ، جيش مجهز بأحدث المصانع والمعامل لإنتاج الأسلحة الحديثة ، ومدعم بالأفذاذ من الخبراء والفنيين والمهندسين ، جيش الجندي فيه متعلم والضابط فيه متعلم .

إن المسلمين في بقاع الأرض تحوطهم الفتن المأجورة إما من غرب مستعمر وإما من شرق كافر .

وليس من بلد في العالم الإسلامي يستطيع الآن أن يتبوأ مركز الزعامة غير البلاد المقدسة .

وإذا فليس أمل شعب الجزيرة أن يكون للبلاد المباركة جيش قوى حديث غنى بكل ما تحتاج إليه الجيوش الحديثة فحسب بل هو أمل الشعوب الإسلامية قاطبة لحراسة حدود الجزيرة والمحافظة على اقتصادياتها ، وهي تريده قوياً كاملاً أكبر عدداً وأكثر عتاداً وعدة من الآن .

مولاي سعود :

لا شك فيما اتخذ بفضل جهادك في سبيل الإصلاح والتقدم بالجيش السعودي

ولقد أوضحنا ذلك في مكانه من هذا الكتاب . ولكن المسلمين يا مولاي في جميع بلاد الأرض يبحثون عن قيادة سليمة ، قيادة قوية حكيمة ، قيادة مؤمنة بوجوب حماية الإسلام من دعاة الإلحاد والكفر ، قيادة مؤمنة بأن الإسلام دين صالح للحكم في كل الأزمان وفي كل البلاد ، قيادة تنادى بحماية الإسلام ومن خلفها جيش الإسلام ، قوى مؤمن ، ينضوى تحت لوائه جميع المسلمين من كافة أطراف الأرض ، جند يقاتل في سبيل الله يوم يشتد الخطر — خطر المستعمرين والملاحدة — ولن تجد يا مولاي اليوم في بلاد المسلمين بلداً إلا وفيه جماعات تدعو إلى الكفر والإلحاد وإن أتقنت أساليب الدعوة إلى ذلك بمختلف الطرق وشتى الأساليب ، فتارة باسم العدالة الاجتماعية ، وتارة القومية والوطنية وأخرى باسم التقدم والحضارة ، مستغلين عوامل الجهل والفقر التي انتشرت بين المسلمين ، فلا بد يا مولاي والأمر أصبح ينذر بالخطر من أن تستعد للعمل . ولن يستطيع المسلمون أن يعملوا من أجل دولتهم المسلمة في أى بلد من البلاد الإسلامية الكبرى لأن حكومات هذه البلاد أخذت في مجاملة الأقليات غير المسلمة حتى ولو كان ذلك على حساب الدين . وهم لا يشعرون أن تلك الأقليات لن تجميلنا نحن معاشر الأغلبية الساحقة بأدنى شيء . لذلك كله أصبحنا نبحث عن قيادة مسلمة وتنشوق كلنا إلى وجود جيش إسلامي قوى ، قوى بأوسع ما تحمل كلمة القوة من معان حتى نستطيع أن نتنفس الصعداء ، فلقد كدنا أن نحتق .

وإنها حقيقة مرة تلك التي يجب أن نعرفها وتؤمن بها يا مولاي ، وهي أن المسلمين في كل بقاع الأرض مغلوبون على أمرهم ، إما بيد كفرة مستعمرة ، وإما بيد مسلمة حاكمة بغير ما أزل من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، مسلمة لأنها ولدت من أبوين مسلمين وسجلت في شهادة ميلادها أنها مسلمة .

كذلك يطالب المسلمون الذين أيقظتهم مصائب التآمر على الإسلام بقائد قوى يلتفون حوله، ويتطلعون لأمانٍ عزيزة يرجون أن تتحقق على يديه، وأنت اليوم يا مولاي الأمل وعليك تتركز الأمانى، وما تلك النفثات التى سجلتها على صفحات كتابي هذا إلا أمان أنت فجرها، فمتى تتمتع يا مولاي بصحو ضحوتها، ومتى ينادى المنادى بتحقيقها، « يا خيل الله هيا » فتأتيك أفواجا من البر والبحر والجو، ومن الجبال والوهاد، وتقف يا سعود لتنظم الصفوف، وتصوب الرأى، وترفع العلم، وتصف المدافع والدبابات وأسراب الطائرات والكل ينادى من عند كعبة الله، الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر .

يا مولاي : إن بلاد المسلمين لن تحرر من المستعمرين إلا بالقوة ، القوة التى تساوى بل تفوق قوة المستعمر ، ولن يعود عز المسلمين ومجد الإسلام الأول ونحن عزل ، عزل من قيادة صالحة ومن جيش صالح له عزمة واحدة ورأى واحد وغاية واحدة يتكفل حولها ويعمل من أجلها كل المسلمين .

فناد بها يا مولاي العالم الإسلامى تجد جميع المسلمين حولك كالبنين المرصوص . وأنت لها .

خاتمة

مولاي لقد قدمت ذلك الكتاب لجلالتكم ولشعبكم وللعالم الإسلامي كله . وبالرغم من أني كتبت كثيراً ، إلا أني في الواقع لم أجد نفسي مغتبطة ومحرجة في آن واحد إلا عند كتابة هذا الكتاب ، فقد شعرت بالحرص عندما كتبت أنا ليس مزايًا شخصيتكم لأرسمها في ذلك الكتاب ، وكان هذا الحرج ممزوجاً بالاغتراب البالغ مما كتبت عنكم لأنني قد آمنت بشخصيتك الإسلامية الفذة ، وطربت للأمانى الواسعة التي تجيش بها نفسك الكبيرة ، واستبشرت خيراً عيماً بالمواثيق التي كنت تقيد بها نفسك أمام الله عز وجل في حكم شعبك المخلص أثناء تشرفي بزيارة جلالتكم ، ومن هنا اعتقدت أن هذا الشعب الذي وضع أمانة قيادته نحو النور والحرية والمجد بين يديك إنما كان موفقاً في اختيار اليد الأمانة التي تعرف واجبها نحو الله ونحو الشعب في حفظ هذه الأمانة . وهذه الآمال التي أرسمها لك في هذا الكتاب ليست هي في الواقع كل الآمال التي تعتمل في نفوس شعبك الطموح ، وليست هي كل الأمانى التي تجيش في نفوس المسلمين في كل أنحاء العالم نحو بلاد الإسلام المقدسة . فلو أني تعرضت لكل هذه الآمال والأمانى لما اتسع كتاب واحد لتصويرها أو جمع أشاتها . وهل يمكنني أن أجمع أشات آمال وأمان أنت أول من يشعر بها ويسمى إلى تحقيقها ؟ ولكن هذا الكتاب لن يكون الأخير فسوف أرقب - ما حيت - مدى تحقيق هذه

الأمانى التى هى فى عنقك والأمانى التى لم أذكرها وأنت أعلم الناس بها ،
وأرجو أن أعيش لأكتب لك أو عليك ؛ أكتب لك عندما تنجز وعوداً
وعدت بها وحقوقاً اعترفت بها للشعب وعندما تقي بمهود قطعها على
نفسك كمسلم قادر على الوفاء بها ، ثم أكتب محاسبة معاتبة وأعتقد أن
ذلك لن يكون ، فلقد عرفت من عزيمتك وصادق إيمانك وثقتك بالله
وحسن توكلك على ربك وخوفك من لقائه ومحاسبتك نفسك أنك
لن تكون مقصراً فى أداء هذا الواجب ، قال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY



32101 073554626

(NEC)
DS244
.53
.G439
1954

الكتاب
الذي
لا
يقرأ
الذي
لا
يقرأ
الذي
لا
يقرأ

